السرايـــة

روايـــة

محمد خيرت حماد



أدب الجماهير
تأسست عام ١٩٦٨
الإبداع طريق التقدم

كتاب أدبي يشرف عليه:
فؤاد حجازي

المراسلات :
المنصورة – ش. د. سيد
أبو العينين-عمارة الفردوس.
جوار مدرسة الشيخ حسنين.
الرمز البريدي ٣٥١١١
ت : ٢٢٤٧١٦٨ / ٠٥٠

إهـــداء

إلى من تدل نبضات قلبها
على سريان الدم فى عروقى
وتبدد إبتسامتها كل
ظلمات حياتي
وأستمد من حنانها
قوة دفع لغد آتٍ
مع خالص حبى وتقديرى

المؤلف

- منذ انتقل عمدة القرية إلي الرفيق الأعلي .. وعبد الجبار .. يعتبر نفسه العمدة القادم . بل أن بعض رجاله وأنصاره ... اخذ يناديه بذلك فعلا . وأن كان بينه وبين نفسه يرى انه هو الاحق بالعمودية من زمن طويل .. حتي من قبل أن يكون شيخا للبلد ، فطول قامته .. وعرض منكبيه .. يمنحانه هيبة تضيف عليها صرامته وقوته .. هيبة ورهبة . في قلوب كل المتعاملين معه من خفر وبعض المشاغبين من اهل قريته . ومنذ تولي مشيخه القريه.. انعدم فيها ما يعكر الصفو . والتف حوله بعض من الشباب والرجال ممن توسموا فيه الزعامه .. والقدرة والنفوذ آملين في تحقيق مصالحهم.. وفي نفس الوقت يوفرون لأنفسهم الحمايه من اى باطش . ولامانع من أن يكونواهم رجاله .. ويده التى يبطش بها .

وقد أعد نفسه لهذا اليوم جيدا.فقد سعى لدى أخواته البنات الخمس المتزوجات فى عائلات القريه المختلفه حتى كتبت كل منهن ما تملكه من أرض باسمه حتى يتوفر لديه بالاضافه لما يملكه نصاب العمودية وهو عشرة أفدنه . بل زاد عنه بفدانين . كما وأنه وطد علاقاته بعائلات أزواج أخواته البنات .. لدرجة أن كل أزواج أخواته راضون عن تنازل زوجاتهم عن أراضيهن

لأخيهن بالرغم مما تعنيه الأرض للفلاح .. عن طيب نفس .

آ ملين فى أن تعود اليهم بعد أن ينال مراده ويصبح عمده القريه . بالاضافه لما سيضيفه ذلك عليهم من جاه وما سيعود عليهم من مصالح.

كما أنه داوم على الجلوس امام الدار كل يوم بعد صلاه العصر.. وحوله حشد من أتباعه وأنصاره حتى صلاه العشاء . منفردا بمقعد خشبى كبير لايقعد عليه سواه .. أن كان حاضرا أو غائبا . . وباقى الحضور على الأرائك الخشبيه التى رصت على جانبى مقعده . وحرصا من أهالى القرية وكبار رجال عائلاتها على كسب وده وإعلان تأييدهم له .. يتوافدون على مجلسه بين الحين والآخر ويرفعون اليه مشاكلهم .. ويرتضون بالحلول التى يقدمها لهم وخاصه انها تكون مرضيه للجميع وعلى ذلك يتقبلها كل الأطراف مقتنعين لأنها تعطى لكل ذى حق حقه .

وبعد أن ينتهوا من صلاة العشاء .. يذهب كل منهم إلى داره لتناول عشائه ثم يعود من يرغب منهم فى استكمال سهرته فى المضيفة . وهى حجرة من دار العمدة لها باب على الشارع . ويحلو لهم السهر . فى وجود عبد الجبار.. وفى عدم وجوده .. وخاصة أن أحد الخفراء مختص بامور الضيافة .. من اعداد شاى وقهوة وإحضار الطعام من داخل الدار لمن يطلبه . وذلك فى أيام الصيف . أما فى الشتاء .. فالجلوس يقتصر على المضيفة فقط.. ليلا ونهارا . حتى انتصاف الليل ..فى الليالى غير الممطرة .

اما الليالى الممطرة.. فالكل ينام من بعدصلاة العشاء. ولايتبقى بالمضيفةالا الخلصاء وبعض الخفر وأصحاب المشاكل . يظلون يتسامرون حتى يرغب عبد الجبار فى النوم .. فيغادرهم قائلا :

ـــ البيت .. بيتكم ياجماعة .. بالاذن . فينهضوا جميعا من مجلسهم حتى يغادرهم .. ويبقى من يبقى .. ويغادرمن يرغب فى ذلك.

إلا أن ما يشغل بال عبد الجبار .. أن بداخله احساساً .. أن الدار التى يسكنها .. لا تصلح له كعمدة .. نعم كانت على قدره كشيخ للبلد .. لكن العمدة.. وضع آخر. تراوده أحلام كبيرة.. أن يسكن سرايه .. كبيره . تليق به كعمدة متميز عن من سبقوه .إلا أنه أرجأ تحقيق هذا الحلم لما بعد حصوله على المنصب .

ومن ناحية اخرى .. أكثر من سفره إلى المركز .. والجلوس مع مأمور المركز .. وضباطه وبالأخص ضابط المباحث .. ولا مانع كل كام يوم من ارسال الخفير الخصوصى .. ببعض الهدايا من الفطير المشلتت والطيور.. التى تحرص زوجته على تربيتها فى الدار .. من بط وأوز وحمام .. ولا مانع فى أيام سوق القرية من كام كيلولحمة .. وكذلك فى المناسبات .

ولم يقطع عادة .. افطار حضرة المأمور وضباط المركز .. يوم فى رمضان من كل عام .حتى أصبحت هذه العادة .. منذ تولى مشيخة البلد .. مناسبة لايمكن تجاهلها .. بل يذكره بها الضباط أنفسهم .. حيث تكون الوليمة عامرة بكل ماتهفوا له ألأنفس . وعلى ذلك كانت علاقته بالمركز على أحسن ما يكون .. حتى أنهم فى حياة العمدة الراحل

.. عـندما كانت تحدث أى مشكلة فـى البلدة كـان الاتصـال يتم بـه متجاهلين العمدة تماما . حقـا كـان ذلك يثلج صـدره ..الا أنه كان فى نفس الوقت يقول لنفسه .. لو كان ذلك وأنا عـمدة .. كانت سعادتى ستكون أكثر .

ـ ٢ ـ

حبى اللـه عبد الجبـار.. بمـزايا جسديه.. فـكان مـن يراه .. يتصور أنـه أحدأبطال الرياضـه .. بالرغـم مـن أنه لـم يمـارس منـها الا رياضـه شـد الحبـل فـي العشرينـات مـن عمـره . وكـان دائمـا مـا يتفـوق فريقـه علـى أقرانـه .

وبـالاضـافـه إلى هذه المـزايـا .. كان فيـه وسامـه لاتخفـى علـى نـاظـر . بالرغـم من صرامته المعـهوده . إلا أنه كان ذكيا فطنـا .. ميـالا للفكاهـه والسمـر.وبالرغـم من فحولته الباديـه للعيـن .. الا أنـه كـان ملتزمـا .. يخشـى اللـه..وحريصاً علـى ألا يمس أى امـرأه الا فـى ألحـلال . ويرجـع ذلـك فـى حقيقـه الأمرإلـى مـيله الشـديـد للتـدين بالإضافـة إلى حبه الشديد لامه التى آلت علـى نفسهـا أن تقـوم بتربيتـه هـو وأخواتـه البنـات الخـمس . بـعـد موت والده وهـو ابـن السنيـن العشـر . ولـم يشعـر فى يـوم من الأيـام أن بـهـا ضعـف المـرأه وانمـا قـوية صلبـة بعـشرة رجـال كما سمع عـمه إبراهيم يـقـولـها ذات يـوم .

وكانت كل الأسرة تعـمل لهـا ألف حسـاب . ربـتهم جميعـا .. متحابيـن .. وزرعـت فى بناتهـا حـب أخيهم .. فهو رجلهم .. أبـوهـم .. الذى يجب أن تـوكل كل واحـده منهـن أمرهـا اليـه . فـكبرن عـلـى ذلك . ولأنهـا توسمـت

فيـه الرجولـه من صغـره .. زرعـت فـى عـقله عـندما بـدا لهـا كبيـرا .. فكـره السعـى لكـى يكـون عـمده القـريـة . بـل قالتـها جهارا نهارا أمام أفـراد عـائلة بر هـأن . الـذى ينتمـى والد عـبد الجـبار.. زوجهـا إليهـا. وطلبـت منهـم الوقـوف بجانبـه وقفـه الرجل الواحـد ساعـتها .

وذلك فى فـرح سليمان ابن عـمه إبـراهيم والعـائلة مجتمعـه وسـط الـدار . . وقـد جلس عـبد الجبـار بجانـب عـمه الـذى مد يده وطبطـب عـليه .. ثـم جذبــه ناحيتـه .. متوددا . وعـلامة منه عـلى الموافقـه .. وقـال :

ـ كبـرت يـاعـبد الجبـار .. وبقيت عـريس .. أن شـاء اللـه نفرح بيك قريباً .

فـردت والـدتـه :

ـ أن شاء اللـه نفرح به مرتين .. الأولى بالعـروسه .. والتا نيـه بالعموديه .. يـا شـيـخ إبراهيم .

ـــ آه .. واللـــه معـــك الحـــق .. ربنـــا يحـميـــه ويـصـونـه .

قـال ذلك ولاذ بالصمـت . ككل الحاضـرين . إلا أنهـا بعـد مـا قالتهـا .. استطلعـت بناظريهـا وجـوه الـذين لاذو بالصـمت .. ربمـا للمفاجـأه .. وربمـا انبهـارا بـالفكره .. وخاصة انهـا صـادرة من الحاجـة زينب بمـا لهـا من هـيبة واحترام بينهم .. وخاصة أن الحاج إبراهيم أبدى موافقته ..

وقطع الحاج إبراهيم الصمت قائلا :

ـ وليه لأ.. هيه عيله برهان قـليله فى البلد .

ومن تلك اللحظه .. وجدت الفكره .. أرضا خصبه .. لكى تنمو وتترعرع فيها .

وسعت الحاجة زينب حثيثا فى تنفيذها . فحرصت على أن تزوج بناتها الخمس كل واحدة منهن فى عائلة كبيرة من عائلات البلد .. كما سعت فى تزويج عبد الجبار نفسه من عائلة ابو سعيد أكبر عائله فى القرية . والذى أنجب منها وفيق.. إلا أنها ماتت بعد الولادة بأيام قليلة متأثرة بحمى النفاس . وبعد عامين زوّجته من عائلة ريحأن .. وكانت حريصة على أن تسترضى عائلة أبوسعيد قبل أن تقدم على الزيجة الثانية حرصا على استمرار أواصر المودة والمصاهرة معهم .

بل دعتهم لحضور العرس .. وحضروا جميعا . وأنجب من زيجته الثانية ابنة سماها زينب ..على اسم والدته . الذي لم يمهلها القدرلترى حلمها يتحقق.. فماتت بعد زواجه الثانى بعامين ..وقبل وفاتها وهى على فراش المرض.. جمعتهم حولها وقالت :

ـــ مش ها نام فى قبرى مرتاحه .. إلا لما أشوفك عمدة البلد يا عبد الجبار.. وأوصيك باخواتك ورجالتهم .. خليهم عزوتك وأقرب الناس إليك هما وأولاد أعمامك . أهلك حتى لاتهلك . ثم وجهت حديثها للبنات قائلة:

ـــ أخوكم فى عنيكم .. هو سندكم فى الدنيا .. ولن يكون لكم غيره .

ولأنه كان يستشعر فى أخته شهيره .. أكبرهن . نفس صفات أمه . كانت الأكثر قربا منه ..وهى بطبيعتها كانت أكثرهن قربا منه وميلا له وحرصا على استمرار الود بينهما .

كما استشعر فيها الحكمة فكان يستأنس برأيها كلما احتاج إليه . وكان كثير التردد على بيتها .. هى وسميره

الصغـرى. الا أن ذلك لـم يكن أبـدا عـلـى حسـاب عـلاقاتـه بأخواته الأخريات سعاد وشفيقة وإكرام . فلم تكن تمضـى مناسـبـه أو عـيد الا وكـان موسـم كـل واحـدة مـنهن عـندها ونفس الأشياء لكل منهن . واذا أعـطـى لولـد من أولاد أى منهن جنيها .. فلكل ولد من اولاد الأخريات مثله. وحرص عـبد الجبار أكثر بعـد موت والدتـه .. عـلـى توطيد عـلاقته بكل الأهل والأقارب وحتى الجيران . فلم تكن تأتى مناسبة فرح أو مأتم إلا وتصدر القائمين عـليه .. متلقيا التهانى فـى الأفراح والتعازى فى المآتم .. مجاملا ومقدما العـون عـند الحاجه ودون أن يطلب منه .. فأحبه الناس . حتى اذا تـوفى شيخ البلد .. وبالرغم من أن عـمره يومها لم يكن يزيد عـن الثلاثـين عامـا.. إلا أن العـمدة ومـأمور المركـز لـم يجـدا خيرا منه لتعـيينه شيخا للبلده .

ليلتهـا وقـد اجتمعـت أخواتـه حولـه هـن وازواجهـن وكانـت شـهيره بجـواره كعادتهـا وقـد انصـرف المهنئـين والمباركين نظرت إليه وعلى وجهها ابتسامه الرضـى. قائلة :

- أول خطوه .. لتحقيق حلم أمك .. يا عـبد الجبار .

رنـا إليهـا .. وابتسـامة شـاردة عـلـى شـفتيه .. سـارحا بفكره إلـى غـد قـد لايـأتى .. ومـاض قد ولـى بكل حسناته وسيئاته . وبعـد برهه قـــال :

- بكره فى عـلم الله ياشهيره .. سبيها لله .. وليس شيئا عـلى الله بكثير.

تقدم عبد الجبار بأوراق ترشيحه للعمودية . وعندما عاد إلى بيته جلس أمامه . والتف حوله الأهل والأنصار . فقد اقترب الحلم من أن يصبح حقيقه .. وعائلة برهأن .. سوف تصبح عائله العمدة .. وكان كل هم المجتمعون وتفكيرهم فى من سوف يتقدم منافسا لمرشحهم .

ـ احتمال عبده ابو سليمان هو اللى هايترشح.

ـ بيقولوا أخو المرحوم العمده هو اللى ناوى يترشح.. علشأن العمودية ماتطلعش من العيله .

فيرد عليه آخر :

ـ ياشيخ .. ده كبير فى السن . . ورجله والقبر .

ـ آهـم بيقولـوا كـده .

إلا أن عمه إبراهيم حسم الأمر قائلا :

ـ يترشح اللى يترشح .. وكبار عائلات البلد برضه لهم كلمتهم .. وأن هم ما حسموش الأمر .. تبقى صناديق الانتخابات تقول كلمتها .

قال أحد الجالسين :

ـ قصدك إيه يا عم إبراهيم .

ـ قصدي كبار عائلات البلد يقعدوا مع بعض .. ويختاروا واحد من المترشحين .. واللى يختاروه الباقى يتنازل له .. إحنا مش عايزين انتخابات.. الانتخابات مابيجيش من وراها إلا المشاكل والخلافات والبلد ماعدتش مستحملة مشاكل وخلافات .

ـ والله عداك العيب ياشيخ إبراهيم .

ورد آخر :

ـ والله فكره .. هو احنا نسينا اللى حصل الانتخابات اللى فاتت، لما حصلت معارك ومشاكل بين العائلات . والا اللى حصل فى البلاد اللى حوالينا .
أمن الجلوس على هذا الرأى .
كل هذا الحوار وعبد الجبار .. يستمع دون أن ينبس بكلمه ، وعندما وصل إلى هذا الحد . أمن على القول الفصل . إلا أنه بينه وبين نفسه تسائل كيف لهذا الأمر أن يتحقق ؟ . وطرأت على ذهنه فكرة .
أن يجتمع من كل عائله من عائلات البلده كبيرها على هيئه مجلس عرفى لاختيار واحد من المرشحين .. على أن يدفع كل مرشح مبلغ كبير من المال فى البداية كرهن لضمأن التزامه بما يراه المجلس .. ومن يتمرد على رأى المجلس يغرم المبلغ المدفوع .. بالإضافة لوقوف البلد كلها ضده .
فمال على عمه إبراهيم وطرح عليه الفكره . فاقتنع بها .. وأن تمهل لحظات ..قال بعدها :
ـ كلام جميل ..على كده نستنى لما نعرف مين المرشحين الأول وبعدين نطرح الفكره على عائلات البلد..وأن شاء الله ربنا يوفق لما فيه الخير.ويولى من يصلح .
واتفق الجلوس على ذلك .. وقاموا منصرفين كل إلى داره .
بعد انصرافهم دخل عبد الجبار حجرته .. واسترخى بجسده الطويل على الفراش .. وأغمض عينيه.. وأخذ يقلب الفكره فى رأسه .. هل يضمن أصوات العائلات الخمس المتزوج بها أخواته البنات ؟ ..

ـ ليه لأ .. اليسوا هم نسبانه وعزوته وبينهم وبينه كل المودة والاحترام .

وكم بينهم من مصالح مشتركه .. والعائلتان أصهاره هو كمان .أهل زوجته المرحومة والحالية .. أن لم يقفوا معه فى يوم كهذا فمع من يقفوا ؟! بقي مين من عائلات البلد تلات أوأربع عائلات . كل ما شغل باله من هذه العائلات هو عائلة أبو سليمان.. فقد أسرت له أخته شهيرة من مده بأنها رأت إحدى بناتها .. وترى أنها على قدر من الجمال يناسب عمدة القرية الجديد . إلا أنه تريث فى الأمر وطلب منها عدم إثارته إلا بعد أن يصبح العمدة حتى لا تحدث مشاكل مع أهل زوجته الحالية .. وفى هذا الوقت بالذات .. إلا أنها أخبرته أنها سوف تتودد إلى البنت وأهلها.. وتلمح تلميحات لاتحاسب عليها حتى تضمن ولاء أهلها له . فوافقها على هذا الرأى وأن طلب منها الحرص الشديد .

إلا أن عبد الجبار رأى أنه بإمكانه ضمان الأغلبية المطلقة فى صفه إن أحسن مغازلة كل كبير عائلة بأن مصالحه ومصالح عائلته سوف تكون نصب عينيه أن حصل على تأييده . على أن يكون هذا الأتفاق بشكل سرى لايعلم به أحد من منافسيه فيفعل معهم نفس الشىء . على أن يستعين فى إتمام ذلك الأمر بعمه ومن يتوسم فيه الكتمان من أصهاره ونسبائه .

وكما خطط عبد الجبار وعمه وأخته .. تمَّ اجتماع المجلس العرفى للقرية.. وذلك فى المسجد الكبير كمكان محايد .. من كبير كل عائلة بالإضافه إلى شيخ الجامع ومأذون القرية وشيخ الخفراء ومساح القرية على أساس

انهم من المهتمين والمسيرين لشئون القرية . بالإضافه إلى حشد كبير من الأهالى . ورأس الإجتماع الشيخ عبد العزيز إمام المسجد .. وبعد أن طلب من الجميع قراءة الفاتحة قال :

ـ الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا نهتدى لولا أن هدانا الله .. وأما بعد فقد أمر الله بالشورى فقال فى كتابه الكريم " وشاورهم فى الأمر " كما حض رسوله الكريم عليها بقوله فى الحديث الشريف "وأمرهم شورى بينهم " فالشورى مبدأ إسلامى ثابت بصحيح الكتاب والسنة.. وأخذا بهذا المبدأ الإسلامى الكريم نجتمع اليوم لإعلانه والأخذ به من خلال هذا المجلس العرفى أو مجلس شورى القرية الذى يمثل فيه كل عائلات القرية وأصحاب الرأى فيها . وقد تم الأتفاق على التعهد بالإلتزام بما يصدر عن هذا المجلس والذى سيخرج عن الإجماع سيتم تطبيق الشرط الجزائى عليه وهو عدم رد مبلغ التأمين إليه بالإضافه إلى ذلك .. سوف نتعاهد جميعا .. على الوقوف ضده فى الإنتخابات إذا قدر إجرائها .. وذلك لأن من سيخرج على إجماع القرية يكون آثم قلبه .. فيد الله مع الجماعة .

وبدأ التصويت على كل مرشح من المرشحين سَريا. وذلك بأن جلس الشيخ عبد العزيز فى حجرة الإمام .. وكل من له حق التصويت يدخل عليه ليسجل إسمه تحت إسم المرشح الذى إختاره . وأقسم بالله على ألا يبوح بأسرار هذا التصويت لأى مخلوق بعدها حتى لا تحدث مشاكل بين العائلات بعضها وبعض . ولكل كبير عائلة صوت واحد..وكان عددهم اثنى عشر شخصا بالإضافة

للأصوات الأربعة الأخري. وانتهى التصويت إلى حصول شقيق العمده الراحل علي ثلاثة أصوات .. وعبده أبو سليمان على صوتين .. وحصول عبد الجبار على بقيه الأصوات . وبعد انتهاء التصويت .. صعد الإمام المنبر ووقف عند الدرجة الثالثة منه . وبعد أن حمد الله وأثنى عليه قال :

ـ أن هذا اليوم .. يوم تاريخي .. بالنسبة لنا جميعا وإنني من على هذا المنبر وقبل إعلان النتيجة أؤكد على ضروره الإلتزام بكل ما تعهد به كل مرشح حتى لاتكون هناك فتنة .. وبمجرد إعلان النتيجة أرجو من المرشحين اللذين قد لا يوفقان أن يتقدما للمرشح الفائز معانقين مهنئين ومؤكدين له على أن يكونوا معه يدا واحدة إن شاء الله . والآن أعلن لكم الفائز بمشيئة الله .

إيها الأخوه الفائز هو .. عبد الجبار .

عند ذلك حدثت همهمه وبدأت بعض الأصوات تعلو معلنة ارتياحها .. وصفق بعض الرجال .. وأخذ التصفيق يتزايد حتى شمل كل الموجودين بالمسجد . فلم يجد المرشحأن الآخرأن امامهما بدا من أن يتقدم كل منهم إلى عبد الجبار مهنئا ومعانقا .. واستمر التصفيق وتصاعد حتى تم للاثنين معانقه عبد الجبار .. ونزل الإمام من على المنبر ، وعلامات الارتياح تكسو وجهه.. والابتسامات تعلوا وجوه الناس .

ما إن أعلن فى القرية أن عبد الجبار أصبح العمدة .. حتى عمت الأفراح عائلة برهان .. على وجه الخصوص . والقرية على وجه العموم . وبادرت عائلات القريه كلها بمباركة عائلة برهان .. وتقديم الهدايا المناسبه لهذا الحدث .. فمن قام بذبح عجل أمام منزل العمدة لحظة وصوله من المركز بعد صدور القرار الادارى ومعه تليفون العمدة .. ومنهم من أطلق النيرأن ابتهاجا .. وتم اعداد الطعام لكل الموجودين .. بعد إحضار طباخين من المدينه القريبه خصوصا . واستقبل العمدة الجديد المهنئين من أهل القرية والقرى المجاورة فى المضيفة التى كان يجلس فيها هو وشيخ الخفر .. ورصت الأرائك الخشبية أمام الدار بطول الشارع .. واصطف الجلوس يستمعون للمتبارين فى إلقاء المواويل والأغانى الشعبية .. والراقصين فى ليلة صيفية .. اكتمل فيها القمر .. وسادها نسمات لطيفة شجعت الناس على السهر.

وبعد انتصاف الليل بقليل .. استأذن عبد الجبار من المحيطين به .. وتأبط ذراع عمه الشيخ إبراهيم واصطحبه إلى الداخل .. فى حجره نومه وأرسل فى استدعاء أخته شهيره .. وجلس الثلاثه .. وابتسامه الرضى تعلوا الوجوه.. والفرحة تهز النفوس .. حتى بدأهم عبد الجبار قائلا :

- راحت السكرة .. وجاءت الفكرة .
- خير .. سكره إيه.. وفكرة إيه .

قـــال ذلــك عــمــه إبراهيم :

ـ أقصد اننـا لازم نرتـب أمورنـا .. مـن هنـا وجـاى . عـلشأن تمشـى الأمـور بشـكل كـويس .. والعموديـة اللـى دخلـت عيلـة برهـان مـاتخرجش منهـا تـانى يـاعم إبراهيم .. دى ناحية .. والناحية التانية العمودية لازمها شوية حاجـات كده .

قالت شهيرة :

ـ ذى ايه .

ـ دار كبيره تناسب العمده .. والا إيه ياعم إبراهيم ؟.

ـ وماله يا ابنى .. الأرض الفاضية كتيرة فى البلد .. بس عـايزك تبنـى دارك هنـا .. وسـط العيلـه .. عـلشأن كلنـا نكون حواليك .

قالت شهيرة :

ـ أنسب مكان .. الأجرأن اللى فى أول الحارة .. كلهـا أرض وقف .. حط ايدك عـلى المساحه اللى انت عايزها .

ـ بـس يـابنى عـايزك تتمهـل شـويه .. عـلشأن النـاس ماتقولش ماصدق بقى عمدة وبدأ يحط ايده عـلى الأراضـى الوقف .

ـ كلامك زين ياعمى .. نمشـى الأمورشوية بشـوية .. وليكن بعد ستة شهور ولا سبعة نبدأ فى البناية .

ـ وبعد البناية .. أن شاء الله تكون مع الدار الجديدة .. العروسة الجديدة .

ـ عروسة مين ياشهيرة .

ـ رقيه بنت عبده ابو سليمان .. ياعمى .

ـ والله فكره .. يابت ياشـهيرة . وأهو منها البنت حلوه.. ومنها نرضى عيلة أبو سليمان .. وخاصة إنهم كان عندهم أمل فى العموديه .

ـ كـلام زين .. اتفقنا على كده .

ـ على خيرة اللـه .

وعندما هم العم إبراهيم قائما .. وضع عبد الجبار يده على كتفه الأيمن .. معيدا إياه لمجلسه برفق .. قائلا :

ـ عم إبراهيم .. أنا مش هاقول لك متشكرين .

ـ متشكرين على إيه .. ده أنت ابنى . وقام من مجلسه واحتضنه بقوه قائلا :

ـ ده أنت ريحه أبوك الغالى الباقية على وش الدنيا .

ـ وعهد على ياعمى إنك تكون دايما كبير العيلة وسيدنا كلنا .. وأن أكون ذى ابنك الصغير .

ـ لا .. لا.. ياعبد الجبار .. أمور العمودية ده شغلك إنت .. يابنى وأنت قدها وقدود . ولن أبخل عليك برأى أو مشورة عندماتطلبها . أما أمور العيلة فذلك حقى أنا ولن أتنازل عنه . قال ذلك وهو يرفع سبابته ضاحكا .

وضحكا جميعا وخرجا كلا إلى داره تاركين العمدة ليخلد للراحة بعد يوم طويل بدأ مع أول اشراقة للشمس . وسرعان ماحضرت زوجته أم هاشم .. وأغلقت الباب خلفها .. لتقدم للعمدة الجديد .. تهنئتها الخاصة .

أمـام الشـارع الـذى تسـكنه عائلـة برهـان .. أرض فضـاء . وبحكم كونهـا فـى زمـام العائلـة .. كانت تستخدم كـأجرأن لهم .. لـدرس القمـح والأرز .. وتشـون بهـا أكـوام قش الأرز والتبن بعد عملية الدراس .

حقـا إنهـا ملـك الأوقـاف .. إلا أن العائلـه لاتـدفع للأوقـاف شيئا مقابل ذلك .. أو وضـع اليد .. الذى لم يكن محددا لشخص معين .

وبعد مـرور المدة التـى حددها عـبد الجبـار لنفسـه .. اصـطحب عـمه إبـراهيم .. وبعضـا مـن أولاد عـمومته .. والشـيخ منصـور مسـاح القريـة .. والخبيـر فـى وضـع الرسومات الهندسية لمن يرغب من أهالى القرية.. فى بناء بيت لـه. وقـاموا جميعـا بمعاينـة الأرض الفضـاء لاختيـار المكان المناسب لبنـاء الدار الجديدة .. والتـى ستكون مقرا للعمودية .

وبعد أن تم ذلك .. وكان الوقت قبل غـروب الشمس فى يوم لطيف الحرارة . أخذ العمدة وعـمه والمساح جانبا.

ـ عايزها سـراية .. كبيرة .. ياشيخ منصـور. وتكون من دورين وبالدجر. والمطارح واسعة كده وبرحة وعاليـة الجـدرأن .. وآهـى الأرض قدامك واسـعة .. وكمـأن عـايز لها فرانده كبيرة تساعى الناس علشأن نبطل قاعده الشـارع دى .

وافـق الـرجلان عـلى كـلام العمـدة .. وأخـذ الركـب يتحـرك عائـدا ناحيـة دار العمـدة .. حيـث جلسـوا أمامهـا . وبعد أن أحضر الخفير الشاى .

قـال العمدة :
ـ هيه ياشيخ منصور.. أمتي تكون جاهز بالرسم ؟
ـ كلها كام يوم أن شاء الله ونبدأ فى البناء .
ـ لأ .. أنـا عـايزك تفكر فـى رسـمه كويسـه.. وعـلى مـا نحفر الأرض.. يكـون الرجـال عـملوا كـم قمينـة طـوب وحرقوها.. عـايزها بالطوب الأحمر ياشيخ منصور .
ـ وماله ياعـمدة .. ده كله مايزيدش عـن شـهر .. بـإذن الله .. ونبدأ فى المبانـى .. سيبها عـلى الله .. وعلىّ .
وأنصرف الجمع للعشاء . وبعد أن فرغ العمدة منه .. أقبلت عليـه شـهيرة وبصـحبتها عمها .. وقد عـزمت عـلى فـتح موضـوع العـروس الجديـدة .. فـدخلوا حجـرة نومـه وأغـلقوا عـليهم بابها .
ـ مـادام الـدار وبـدأنا فيهـا .. يبقـى نبـدأ فـى موضـوع العروسة كمأن ياعـمده .
ـ وليه العجلة .. ياشهيرة .
ـ لاعجلـة ولا حاجـه ياخويـا .. أقلـه عيلـة أبـو سـليمان تعاونك فى المبانى .
ـ ياستى .. ياعنى هاتقف عـليهم .
ـ ولـيه لأ يـا بنى ؟
ـ يعـنى أنت موافق ياعـمى ؟
ـ خير البر عـاجله .. ياعـريس .
ـ طيب مش الاصول نعـرف عـيلة أم هاشم الأول .
ـ الأصـول يـابنى .. أنـا هـاروح لهـم بنفســى وآخـد بخـاطرهم بكلمتين .
ـ لأ .. لازم أكون معاك من باب الذوق .
قالت شـهيره :

ـ وأنـا كمـأن معـاكم .. بينـا نـروح لهـم دى الوقـت .. والليلة الجايه .. أن شاء الله .. نكون عند عبده أبو سليم .

وخرجوا جميعا دون أن يلاحظوا أم هاشم التى كانت تقف على يمين الخارج مستكينة .. كأنما كانت تشعر بما يحدث . حقا لاتستطيع أن تنكر .. أن قلبها قد أحس بأن هناك شيئا ما .. يدبر . وخاصة أنها لاترتاح تماما لعمتها شهيره .. كما تطلق عليها .إلا أنها نظرا.. لما تعرفه من قربها لزوجها لزمت جانب الحذر .. فى تعاملها معها .. ولم تظهر لها إلا الود وكل مظاهر الترحيب والإحتفاء بها عند لقائها فى أى مكان . وعندما وصل إلى سمعها بعض الهمس عن تزويج العمدة .. ازداد وجدها عليها . فلماذا تحضر لها ضره ؟! ومادخلها هى ؟! أترضى لنفسها ذلك الوضع ؟! .

إلا أنه رغبة منها فى استمرار الحياة هادئة .. وكعادتها.. تميل دائما لترك الرياح تمر .. حتى لاتنكسر أمامها .. وأهو زوجها برضه مهما كان . استكانت لذلك .. وهيأت نفسها للأمر وأن كان بها غضاضة لاتنكرها .

ـ ٦ ـ

بعد أن خرج العمدة ومن معه .. جلس عبده أبو سليمان .. وحده . وقد أخد بما تم .. و حدث و سمعه .. حقا.. الرجل عمدة القرية . إلا أن فى قلبه غضاضة منه. ولكن والحق يقال الرجل لايوجد ما يعيبه . وأن كان كبيرا بعض الشىء .. عن ابنته التى لم تتجاوز العشرين من عمرها .. إلا أنه عمدة البلد . وأين سيجد من هو أفضل منه لابنته ؟ ولكن لم يكن ذلك وحده .. هو مايشغل

بالـه ويفكر فيـه . فهو فـى حقيقـة الأمـر لايستطيع أن ينكـر بينـه وبين نفسـه.. أنـه كـان لديـه الطمـوح فـى أن يكـون هـو العمدة .. لولا أن المجلس العرفى اختار عبد الجبـار . وأنـه وأن كان قد آثر الالتزام بقـرار المجلس.. الا أن طموحاتـه ما زالت تتحرك بداخلـه بين الحين والآخر.. لدرجـة أحس معها بشـىء ينمو بداخله نحو عبد الجبار .. شـىء لايستطيع أن يدعى أنـه كراهيـه شخصيه . لكن هنـاك شيئا مـا داخلـه ضده . شيئاً مـا يحـسه أى إنسـان.. تجـاه أى شـخص يقـف فـى طريـق تحقيقـه لأحلامـه . فـماذا يفعل الأن ؟ ! وبمـاذا يرد عـلـى الرجل ؟! حقـا لقد أبدى أمـام زائريـه السعادة .. وعـندما طلب الشيخ إبراهيم رأيـه .. أنقـذه عـبد الجبـار قائلا:

ـ لا .. ياعـمى سيب الرجل يفكر .. ويشاور عيلته .

ـ ها يشاور فى إيه يا عـمدة ؟

ـ لأ .. لأ .. ياعـــمى الأصــول .. أصــول . اليــوم الإثنين.. يـوم الجمعـه أن شـاء الله بعـد الصـلاة .. تيجـى لـه ياعـمى وتشـرب معـاه الشـاى وتسـمع رده .. وأن شـاء الله ما يكون إلا الخير .

ـ خير إن شـاء الله ياعـمدة . وجد الرجل نفسـه يقول ذلك.. مخرجا نفسه من الحرج الذى وجد نفسه فيه .

عند ذلك وقف العمده .. فوقف الكل معـه .. وصـافح صهره القادم .. وخرج هو ومن معه .

عــندما وجـد أبـو سـليمان نفــسه وحـده .. تنحـنح الرجل.. هرش رأسه.. أسفل الطاقيـه البيضـاء التـى اعـتاد عـلـى وضـعها عـلـى رأسـه صـيفاً وشـتاء وكأنمـا أراد أن يتأكد من يقظته وانتباهه وأنه لايحلم . ثم اعـتدل فى جلسته

على الأريكة ونادى زوجته التى هرعت إليه وكأنما كانت تقف على الباب . وحكى لها ما حدث .. فارتسمت على وجهها علامات السعاده والرضى .. ولما لاحظت شيئاً ما فى نفس زوجها .. بحكم عشرتها الطويله معه .. تملكت مشاعرها وقالت :

- وإيه ... قولك ياخويا .

- والله ما أنا عارف أقول لك إيه .. عموما .. أهو الوقت لسه بدرى .. قدامنا يومين نفكر فيهم على راحتنا .. وكمان ناخد رأى البنت .. ورجاله العيلة برضه .

- الرأى رأيك ياخويا ... وأن كنت شايفه أن الراجل مايتعايبش .

رنا إليها صامتا .. ثم قال :

- ربنا يعمل مافيه الخير .

وتاهت نظراته ..سرح بخاطره .. لما قد يحمله الغد .

ـ ٧ ـ

بدأ يموج فى القرية أقوال .. وإشاعات كثيرة .. بعدما أعلن عن نية عبد الجبار فى بناء سراية جديدة .. والزواج من ابنه عبده أبو سليمان.. فمن قائلٍ :

ـ وبدأ العمدة فى ممارسة عموديته .. بالعروسة والسراية .. ياترى بعد شويه فيه إيه تانى ؟.

- ياعم ده عبد الجبار .

- ياجماعة .. ده عمدة برضه .. ولازمه دار مناسبة. وأكمل آخر .

- وعروسة مناسبة .. تجدد له شبابه .

ـ ياعنى ياخويا داره كانت مالها .. ثم أن الأرض اللى ها يبني عليها دى أرض مين . والناس بعد كده هاتدرس فين ؟.

ـ آهى .. كانت أجران عيلته وهو حر معاهم .

ـ طيب ياسيدى نطلع إحنا منها .

معظم الأحاديث الجانبية كانت تبدأ وتنتهى هكذا .. إلا أن مجموعة من أهل القرية .. بالرغم من كل ذلك.. كانت ترى أن الرجل .. حتى الأن لم يفعل ما يؤخذ عليه .. فلم نسمع عنه أنه انتهك عرض أحد .. أو نهب أرضا .. كالعمد السابقين .

إلا أن عبد الجبار لم يأبه.. بكل ماكان يقال حوله.. وينقله له رجاله وخفره . وبدأت حركه إعداد المعاجن .. لصنع الطوب اللبن .. ورصه فى قمائن .. وحرقها . وتم حفر الأرض التى سيتم البناء فوقها تأهبا للحظه البدء . وفى كل يوم كان يتوافد على العمل عشرات الرجال المتطوعين بالاضافة إلى الرجال المشاكسين .. والمحجوزين فى دار العمدة .. وجاملت عائلات القرية عمدتها فكانت صوانى الطعام للعاملين تتوافد من البيوت.. تحملها فتيات العائلات الجميلات.. مما كان يوفر فى موقع العمل نوعا من الحماس و الالفة .. بين الموجودين . ولم يخل الأمر من توافد كبار الرجال فى القرية.. مباركين ومهنئين وجالسين بعض الوقت لرفع الروح المعنويه للعاملين .. والإيحاء للعمدة بروح المجاملة والمودة .. فكنت تسمع صوت الأغانى الصادرة من العاملين والعاملات .. مختلطة بصوت الأغانى الصادرة من المذياع .. حتى انتهى إعداد القمائن وحرقها فى وقت

قياسى .. وتم وضع الأساس والانتهاء من البناء وبعد ستة أشهر .. لاتزيد . كانت سراية العمدة .. قائمة من دورين عالية شامخة وسط الدور التى حولها .. شاهدا على بداية عهد جديد . وبدأت مرحلة تشطيبها وإعدادها للسكنى . ولم يمض غيرشهرين آخرين.. حتى كانت جاهزة لانتقال العمدة إليها .. إلا أن عبد الجبار .. كان قد اتفق مع معرض موبيليا فى دمياط.. على إعداد حجرة نوم جديدة.. لزوم العروسة الجديدة .. وكذلك حجرة سفرة .. وصالون .. وبعد إحضار العفش تم الانتقال إلى الحياة الجديدة .

ـ ٨ ـ

انتقل العمدة إلى السراية .. واحتفل بعروسته احتفالا يليق به وبها .. وأطعم الطعام ودعا كبار رجال البلدة .. ووجدها فرصة مناسبة لدعوة مأمور المركز وضباطه .. ورؤساء بعض المصالح الحكومية..التى كثيرا ما يحتك بهم بحكم العمل . وكان يوما مشهودا فى القرية .

وبدأ يمارس نشاطه بعد أسبوع قضاه عريسا جديدا.. أغترف من عسله مايشاء هو وعروسته . وأول مافكر فيه بعدها .. أن جمع أسرته الصغيرة .. وجلس بينهم فى حجرة المعيشة .. التى خصصها للطعام والجلوس لأفراد العائلة أثناء اليوم .. وأخذ ينظر إليهم .. متأملا كأنما يراهم لأول مرة .. ولفت نظره .. أن أبنه وفيق أصبح شابا يافعا .. وتذكر أنه اقترب من العشرين . فقال لنفسه :

ـ إيـه ده ياعبد الجبـار .. أفتكرت نفسك.. ونسيت إن ابنك كبر.. وبقى على وش جواز.. ده زمـأن اللـى فـى سـنه عـندهم عـيال .. يـاترى الـواد بيقـول فـى نفسـه إيـه عـلىّ دلوقتى ؟ آه منك ياعبد الجبار !! ليه كده ؟! . الـواد ده من صغره كده وهو بعيد عنى ليه ؟ ليه ياوفيق ياابنى ؟ نـادرا مـا تقـع عـينى عـليه طـوال النهـار .. يـاترى بيعمـل إيـه الوقـت؟ وبيقضـى وقتـه إزاى ؟.ومـين همـا أصـحابه مـن شباب العيلة ؟

لابد أسأل عليه الغفر ، أكيد يعرفوا كل جاجه عنه .

أحس أن فترة صمته قد طالت ... هرش رأسه .. وقال :

ـ تعالى جانبى ياوفيق.. اللهم صلى علـى النبـى .. ده أنت اللى عريس مش أبوك .. طول بعرض .. تملى العين.

وأقعده بجانبه على الأريكة وربت على ظهره بحنأن .

ـ هيه.. حاطت عينك على مين من بنات البلد . شد حيلك كده وقوللى عليها .. علشأن نجوزك على طول .

أحنى وفيق رأسه حياء.. أمام والده .. ولاذ بالصمت.

ـ إيه .. مش عايز تقول لى .. والا أنت مكسوف من نسوأن أبوك .

" آه يابنى .. منذ ولادتك وأنت يتيم الأم .. لم تشعر بحنـأن الأم وعـطفها .. وأكيـد مـرات أبـوك أم هاشـم.. ماكـانش عـلى بالهـا . إن شـاء الله أختـار لـك عـروسة.. تعوضك عن ده كله . " ثم التفت إلى ابنته زينب .. رنـا اليهـا متـأملا .. فتاتـه التـى أصبحت أبنـة الثامنـة عشـر.. عـروسة تمـلا العين .. طويلـة .. باديـة الأنوثـة .. مليحـة

الوجـه .. صبية بمعـنى الكلمـة . والله كبرت عـيالك وأنت ملهى عـنهم يـا عـبد الجبـار. إزاى البنت دى لغايـة دلوقت ماتقدملهاش حد ؟!.أعدمت القرية شابا يقدر هذا الجمـال؟! ولا إيـه اللـى بيحصـل حواليك ياعـبد الجبـار؟ !. تنحنح .. هز رأسه .. والتفت إلى زوجتيه . بدت له رقـيه أكثر جمالا وتألقا من أم هاشم .. فأحس بالزهو .

ـ أنـا كنـت عــايز أقـول يـا أم هاشـم أنـت ورقــية .. ولادى دول ولادكـم اللــى أنـتم ماولـدتهومش . وأنـت يـاأم هاشـم .. رقـيه أختـك الصـغيرة. ومـش عــايز أى مشـاكل بينكم ولا أسمع لكم حس .. بيت العمدة ماينسمعش له حس. لامشاكل بينكم ..ولا كلام من اللى بيحصل بين الضراير .. مـش معقـول .. أنـا اللـى يكـون عـلىّ حـل مشـاكل البلـد .. ويكـون بيتـى فيـه أى مشـاكل . الكـلام ده عــايزه يكـون ذى الحلق فى ودن كل واحد وواحده منكم .. مفهوم .

أمن الجميع .. خشية واحتراما .

ـ كل واحدة منكم .. لها حجرتها .. تعـمل فيهـا اللـى هـى عـايزاه .. بعـيد عـن التانيـه .. ومـن غـير أى احتكـاك بالتانيه .. واللى تعـوز أى حاجة مش موجـوده فـى البيت .. تطلبها منى أنا . واللهم صلى عـلى النبـى .. الشـغالين كتير فـى السـرايه .. ومـريحنكم عـلى الآخـر . عـايز أبقـى فـايق لشغلى وبس .. البلد همها كبير . خلاص خلص الكلام اللـى عندى . فيه حد عنده كلام عايز يقوله ؟.

فلاذ الجميع بالصمت .

وعـلى ذلك انتهـى الاجتمـاع العـائلى .. وقـام العمـدة متجها إلى الحجرة التى خصصـها لعمله وسماها المضيفة أيضــا .. وبهــا التليفــون . أمــا البلكــون .. فهــو المكــان

المخصص للجلسات التى يكثر فيها الناس .. وللصيف على وجه العموم .. حيث يحلو الجلوس وقت مابعد العصر حتى انتصاف الليل .

وبمجرد دخوله الحجرة .. قام الجلوس .. وكان من بينهم خفيره الخصوصى .. ما إن وقع بصره عليه .. حتى أمسك بذراعه .. واصطحبه إلى ركن بعيد فى البلكون .. وأجلسه بجانبه فى تودد .. بعد تمنع شديد من الخفير .. فكيف لة أن يجلس بجوار العمده ؟ !.

فنهره العمده .. قائلا :

- اقعد هنا .. أنا عايز أتكلم معاك فى حاجة مايعرفش بها مخلوق .

- خير ياحضرة العمده .. أنا تحت الأمر .

- الواد وفيق .. ابني .. باين عليه .. كبر وأنا مش واخد بالى .

- ربنا يخليه لك ياحضرة العمدة .

- إيه رأيك .. فكرت أجوزه .

- ونعم الرأى .. بالصلى على النبى .. قرب من العشرين سنة .. وحل له الجواز من سنتين تلاته .

- طيب .. ومين اللى تستأهله ياواد ؟ .

- كتير .. البلد فيها بنات كتير حلوه . ثم صمت لحظات .. وقال :

- هو هايلاقى أحسن من بنت عمك إبراهيم الصغيره.

- امتثال .

- أيوه ياعمدة .. زينة العرايس .

- والله عندك حق ياوله . وادعى التفكير للحظات ثم عاد ليسأله .

– بس أنا كنت عايز أعرف منك .. أن كان هو حاطط عينه على حد ؟ ولا يعرف حد كده ولاكده ؟.. علشأن مكسرش قلب الواد .

بادر الخفير مدافعا .

- لا .. لا ما يعرفش حد .

- ايه .. ياواد أنا قصدى أعرف .. مايعرفش بنات .. نسوأن .. كده ولا كده .. ماهو برضه شاب .. وأنت عارف طيش الشباب وزمانه له لحظات طيش برضه .. يعنى .. بيعمل فيها أيه ؟ .. بتاع بنات .. بتاع نسوأن .. بيشرب جوزه .. بيشرب مخدرات ؟؟ الحاجات دى .. ياواد عايز أعرف عنه كل حاجة .. ده ابنى الوحيد وعايز أكون مطمن عليه .. ويكون تحت عينى دايما .

صمت الخفير لحظات .. يراجع فيها نفسه .. ولم يعرف كيف يجيب العمدة .. وخاصة أنه يعرف كل كبيرة وصغيرة عن وفيق والأمين على أسراره . ولما طال صمته .. لكزه العمدة فى صدره وزمجر قائلا :

- اتكلم ياواد .. ومش هاعرفه إنك قلت لى أى حاجه .. ما أنا ملاحظ انكم أصحاب قوى .. علشأن تفضل تعرف كل حاجة وتحكيها لى برضه .. هيه اتكلم .

- يعنى ياعمدة ..

- يعنى إيه .

- هو بصراحه .. غاوى حريم .

ـ إزاى يـاواد .. دى الخصـلة اللـى مـش فـى رجالـة العيلة كلهم . . يمكن لوكنت قلت لـى بيشرب حشيش كنت قلت ذى بعصه إنما الحريم دى صعبه علـى قـوى ياواد .

ـ دى واحده .. بس .. هو مرافقها من ورا جوزها .

ـ وكمأن متجوزه .

ـ بس مالهاش فى الخلف .

ـ بتخلف ولا مابتخلفش.. ماهوزى بعضه .. وبعدين ياواد .. واحده بس ؟ ولا فيه غيرها كمان؟ .

ـ هو بصراحه كان فيه أكتر من واحده .. لكن من يـوم ماعـرف اللـى معـاه دى الوقـت .. وهـو ماعـرفش غيرها .

شرد بذهنه .." ليه يا وفيق يا إبنـى .. كله إلا الزنا .. ده آخرته يا الفقر.. يـا العمـى . ودايمـا شيخ الجـامع كل مـا يقعد معايا يقوللى :

ـ اللـى باحبـه فيك .. يـا عـبد الجبـار .. مـن صـغرك وأنت ربنا يحرسك .. بعيد عـن الزنـا . ودى يـا بنـى سكة آخرتها يا الفقر .. يا العمى أعـوذ بـالله . فأحرص علـى ألا تقع فيـه ياعـبد الجبـار". هرش رأسـه بيمنـاه .. طلب من الخفير الإنصراف . جلس وحده مهموما .

" يبقى مـافيش غـير اننـى أجوزه بأسرع مـايمكن .. والجواز آهو برضـه حمايـه " وبينما هو يفكر فـى ذلك .. مر عليه وفيق خارجا .. فناداه .. وأجلسه بجانبه .

ـ أيه رأيك فى امتثال ؟.. بنت عمى الشيخ إبراهيم .. زينة العرايس . أخذ وفيق .. فلم يحر جوابا .

- اتكلم يابنى .. موافق ولا حاطت عينك على واحده تانيه ؟.. كل شىء ممكن يكون بالغصب .. الا الجواز لازم يكون بالاتفاق.
- اللى تشوفه.. يابا .
- مش اللى أشوفه .. اللى أنت تشوفه .. علشان بعد كده أسمع أنك لعبت بديلك .. ها أقطعه لك . قال ذلك وهو يرفع سبابته محذرا وينظر إليه بحدة .. أرتعدت لها فرائصه .. وتيقن أن والده يعرف عنه كل شىء .
- خلاص يابا .. موافق .
- فكر ليوم الخميس الجاى .. ليلة الجمعة .. ها أخدك ونروح نطلبها لك من عمى إبراهيم .. وأن شاء الله نقرا الفاتحه .

– ٩ –

رفض العمدة من البداية أن تكون حظيرة المواشى داخل السراية .. وأصر على أن تكون بجوارها .. مبنى ملحقا بها يكون مدخله من باب جانبى بالسراية . . يوصل إلى ممر قصير.. منه إلى الحظيرة ..وعلى جانبى الممر.. جداران يمنعان المارة من رؤية الداخل و الخارج . وبأحد الجدارين ..باب كبير .. يسمح بدخول المواشى وخروجها . وسقف الحظيرة .. بعروق خشب وعيدأن الغاب وقش الأرز . بحيث لاتسمح لأحد بالمرور فوقها . وكان قد اشترى حصانا .. ودوكاراً. لزوم تنقلاته .. وذهابه إلى المركز. حتى لايضطر إلى ركوب قطار الدلتا .. الذى لايحفظ للراكب إحترامه وهيبته من شده الزحام . وخص

واحـداً مـن الأنفـار التـى تعمـل لديـه.. للعنايـة بالحصـان والإهتمام بالدوكار ونظافتهما .. وقيادته فى حالة الحاجة إليه . ويحتفظ بالدوكار فى المخزن الذى يتم فيه تشوين .. متطلبات الحظيرة من غذاء للحيوأن وخلافه . واختص أنشط خفره .. بالحراسة الليلية للسراية وملحقاتها .

وإن كان عبد الجبار .. واثقا تمام الثقة من استتباب الأمن فى القرية . ولا يتصور أن يوجد من بين أهلها .. مهما كانت جسارته وجرمه من يفكر.. مجرد تفكير .. فى السطو على سراية العمدة أو حظيرة مواشيه . إلا أنه خصص لها خفيرا من باب الوجاهه .. ليس إلا . ومع إنه تنامى إلى مسامعه .. من بعض المترددين علي مجلسه .. حدوث بعض الحوادث الصغيرة .. كسرقة بعض الأشياء البسيطة .. جوال أرز .. أو جوال قمح مثلا من إحدى الدور . وغالبا ماتكون دور أناس ميسورى الحال . فلا يشكون إليه لبساطة السرقة . كما أن الخفر لايبلغونه لتفاهتها . من ناحية .. ومن ناحية اخرى .. حتى لا يعرف أنهم مقصرون فى عملهم .

وعندما كثرت هذه الحوادث .. فكر فى أن يستخلص بعضا من الرجال والشبأن الذين يعملون عنده .. وخاصة من يتوسم فيهم الإخلاص والطموح .. ويقربهم إليه من بعيد لبعيد .. حتى لايعرفهم أحد . لإخباره بكل صغيرة وكبيرة تحدث فى القرية . فكيف يكون العمدة ولا يعرف دبة النمله فيها ؟!. واتفق معهم .. إذا كان لدى الواحد منهم مايريد إبلاغه به بشكل عاجل .. فما عليه إلا أن يمر عليه حتى لو كان فى وسط الرجاله .. ويقول :

ـ السلام عليكم .. يا أبو وفيق .

عندها سوف يفهم .. ويتصرف ليختلى به ليسمع منه ما عنده .. وحرص قدر الإمكان ألا يعرف أى منهم الآخر .. حتى يكون كل منهم عينا على الآخر أيضا . ولم يكتف بالرجال .. بل طلب ذلك أيضا من بعض النساء .. اللاتى توسم فيهن القدرة على القيام بذلك بسهولة ويسر .. كبائعة الجبنة .. وبائعة الطيور . حيث يتيسر لهن دخول البيوت .. ومخالطة النساء فى الأسواق .. وحتى فى أى مكان وتعرفن منهن الخافية . وعلى ذلك لم يكن العمدة يخلد للنوم .. الا بعد أن يعرف من مصادره الخاصة .. كل مايعن له معرفته من أمور القرية .. وأهلها . وخاصة عن أقربائه وخلصائه وكبار العائلات .

ـ ١٠ ـ

بعد أن خلا منصب شيخ البلد .. الذى كان يشغله العمدة .. أصبح عليه .. أن يختار واحداً من رجالته ليشغله. وفى غمرة الأحداث التى مرت .. بعد توليه العمودية .. أجل التفكير فى هذا الموضوع . إلى أن اتصل به ضابط مباحث المركز.. طالباً سرعة إختيار الرجل الذى يراه مناسبا.. والحضور لعرض الأمر على السيد المأمور لإنهاء هذا الأمر.

لقد فكر فى عمه إبراهيم .. وهل سيكون هناك أفضل منه ؟!. وعندما عرض الفكرة على اخته شهيرة .. تلك الليلة . عندما حضرت بعد العشاء .. سكتت لحظات.. وقالت :

ـ بقى ياعبد الجبار .. عايز تخللى عمك إبراهيم.. كبير العيلة وأكبر راس فيها يبقى تحت أمرك ونهيك ؟!.. مش عيب عليك ياراجل ؟؟!!.

بهت عبد الجبار .. فلم يخطر بباله هذا الأمر .. ولم يفكر به بهذا الشكل إطلاقا . إنما أراد أن يكافئه على مابذله معه من جهد .. والله أعلم بما فى نيته وضميره . لكن هل يمكن لعمى إبراهيم أن يفكر بهذا الشكل ؟

ـ معقول كلامك ده .. ياشهيرة ؟.

ـ ومش معقول ليه ياخويا . وإستطردت :

ـ أقولك حاجه .. كلمة . قول له إنك عايز تختار شيخ بلد وأطلب رأيه .. وشوف كلامه .. يمكن يكون له رغبه.. وإلا يكون مابيفكرش زى ما أنا فكرت .

ـ لأ..أنا وأنت ها نروح له دى الوقت .. ونتكلم معاه.. ونشوف رأيه ورأى ولاده .

وبعد أن جلسوا بعض الوقت .. وعند خروجهم .. والحاج إبراهيم يسير معهم مودعا .. قال له العمدة :

ــ المأمور طلب منى تعيين شيخ للبلد .. وعايز أعرف رأيك.. مين الأنسب لها ؟.

صمت الرجل قليلا .. مفكرا .

ــ أيه رأيك ياعمده .. فى عبده أبوسليمان.. آهو الرجل بقى نسيبك .. وكان عنده طمع فى العمودية ... وآهى خطوة .. برضه يمكن تريح نفسيته شويه .

مدت شهيره يدها وضغطت على ذراع أخيها مستتره بالظلام .. ضغطة فهم المقصود منها . ورغم ذلك أصر أن يكون كلامه أكثر وضوحا .. حتى لا يلام مستقبلا.

- يعنى ياعمى مافيش حد فى العيله يكون له رغبه.. يعنى تكون أنت شايف أنك أولى بيها ؟.قال ذلك وهو يضغط على الحروف .

- لأ . قالها قاطعة .. وكأنما يريد أن يقول له أنه فهم مقصده .. ثم أكمل .

- يعنى تبقى العمودية معانا .. ونبص لمشيخة البلد .. ازاى بس يابنى .

- وأنت شايف .. يعنى أن عبده أبو سليمان أنسب لها من أى حد تانى . قال ذلك كأنما أراد أن يبين أنه غير متحيز له لأنه نسيبه فقط .

- فكر معايا كده .. مش هاتلاقى أنسب منه لها .

- خلاص .. ماشى على البركة. واللى فيه الخير يقدمه ربنا .

وتفرقوا كل إلى داره .. حتى إذا وصل السراية .. وجد لديه الرغبة فى الجلوس بعض الوقت .. وحده فى البلكونة .. وخاصة لما لاحظ عدم وجود أحد .

" عندك حق ياشهيرة .. أما البت دى عليها أفكار.. والله أنا ماكان يخطر على بالى ..اللى حصل ده ..عموما.. خير اننى أخدت رأيها ولم أتسرع . طب وعبده أبو سليمان ده حكايه تانيه .. ماهو باقى النسايب والقرايب .. وخاصة أهل رجالة أخواته البنات ها يقولوا.. واحنا كان أيه يعيبنا ؟.. ولا يعنى مافيش حد فينا ينفع ؟. ولا هى دى أخرة خدمتك ياعمدة ؟.. إيه أخرة وجع الدماغ دى؟.

ماهو الواحد برضه .. لازم يعمل حساب لكل ده..علشأن ماحدش يزعل ." وأخذ يقلب الأمر فى رأسه.. ويستعرض كل الرجال من القرايب والنسايب .. واحدا

بواحد .. ولم يجد بالفعل أنسب من عبده أبو سليمان لهذا الأمر .

تأخر به الوقت وحده . عندما أدرك ذلك .. نهض من مجلسه متجها إلى الداخل .. ودون أن يدرى وجد قدماه تقودانه إلى حجرة زوجته .. رقية أبنة عبده أبو سليمان .

ـ ١١ ـ

يوم أن تم تعيين عبده أبوسليمان شيخا للبلده . جلس العمدة فى البلكونة .. بعد انصراف رجاله .. ومسامريه . وقد سكن الكون حوله .. رجع برأسه إلى الخلف .. مسندا اياه إلى الحائط خلفه .. أغمض عينيه قريرا .

" إيه ياعبد الجبار. أنت وبقيت العمدة .. شيخ البلد وبقى صهرك .. وشيخ الخفرخاتم فى صباعك.. هو وجميع خفره .. كبار عائلات.. بين مؤيد وخاطب للود . يعنى كل البلد.. بقت ملك بنانك تفعل بها ما تشاء ."

فتح عينيه .. إلتفت حواليه . انتفض من مجلسه .. تحرك حتى أقترب من سور البلكون.. المطل على الحى التى تسكنه العائلة .

أستند بمرفقيه على السور.. رنا بناظريه ناحية القرية .

" إيه ياعبد الجبار.. بقيت الكل فى الكل .. الشورة شورتك ..والرأى رأيك ". رفع رأسه .. ملأ صدره بالهواء.. وأخذ يزفره فى تأن وتيه . ضرب بكف يمناه على صدره فوق قلبه .. فى رضا وتباه .

" كل ما عليك من هنا وجاى .. أن تحرص على رضا الكبار.. حتى تضمن استمرار الولاء لك .. ولا مانع من أن تغمض عينيك بعض الشىء.. بين الحين والآخر عما قد يفعلوه . يعنى هايعملوا إيه .. ديتها واحد يطمع فى حتة أرض خلا من بتاعة الأوقاف ..ولا حتى اتنين .. ولاحتى كل عيلة تاخد لها حته .. فيها إيه . حتى أنا ماعنديش مانع أحدد لكل عيله حته أرض . وحسب رضاى وقربها منى . وده بعد أن أخد أنا اللى عايزه الأول. أمال إيه .. ياعنى هما ياخدوا وأنا قاعد أتفرج عليهم أنا وعيلتى . الواد وفيق وبكره يبقى أب .. ولازم الواحد يأمن له مستقبله هو وأولاده .. وكمان إخواته .. وأعمامك وأولادهم . والأهم من ده كله .. رقية وبقت حامل .. وبكره تجيب لها عيل .. وعايز تأمن له مستقبله ذى أخوه. ومفيش مانع أكتب حاجه باسمى والباقى باسم وفيق .. وزينب . كل واحد ياخد نصيبه ويكون الكل مرضى . أمال إيه ياعبد الجبار.. أما الرجال والأتباع ومنفذى الأوامر.. فلا مانع من إغماض العين عنهم بعض الشىء.. لكن بحساب . حتى لا يتجاوز أى منهم حدوده . أو يفلت زمامه" .

تحرك من وقفته .. وكله إحساس بالإمتلاء .. زهوا.. سعادة .. غنى ..سار حتى وصل إلى الدرج المؤدى إلى الشارع . وجد نفسه يخطو بتأن حتى خرج من السراية .. وبعد عدة خطوات.. أحس به الخفيرالمكلف بحراسة السراية .. فأسرع اليه .

ـ السلام عليكم ياحضرة العمدة .. إية أوامر ؟ .

لم يجب عليه .. نظر اليه فى صمت .. ظل فى سيره المتأن . والخفير خلفه .. رهن الإشارة .. حتى إذا ابتعد عن السراية .. طلب من خفيره العودة . واستمر فى سيره ناحية القرية .. حتى إذا اقترب من داره القديمة .. وجد شيخ الخفرواقفا مع أحد خفره .. حتى اذا رأياه أسرعا إليه.. مبديان الدهشة والولاء .

- خير يا حضرة العمدة .. أوامرك ؟ .

ـ لأ .. مافيش حاجة .. مش جاى لى نوم ..قلت أتمشى شويه .. أشوف البلد .. أحوالها إيه .

ـ الكل نايم فى أمأن ياحضرة العمدة ..والبلد عال العال وكلها طوعك وتحت أمرك .

وسارا معا .. وبقى الخفير فى دركه . حتى جالا فى الحى كله .. وعادا أدراجهما ..وهو تارك أذنيه لشيخ الخفر .. الذى ظل يتحدث عن إحساس الناس بالأمن والرضى .. وأن كل فرد يعمل فى حاله ودون إية مشاكل.. كل مافى الأمر أن فيه شوية شباب صغيرين ماعندهمش إحساس بالمسئولية .. أحيانا يسطون على بعض البيوت أو المحلات لقلة ذات اليد .. ودى ذى ماحضرتك عارف أمور طبيعية .. ومع ذلك هو والخفر صاحيين لهم قوى .

- عارفهم يعنى .. ياشيخ الخفر؟.

- فردا .. فردا. وقبل أن يكمل كلامه عاجله العمدة ..

ـ وسايبهم ليه .. أقبض عليهم .. وهاتهم أوضة الحجز فى السراية .

- من النجمة .. ياحضرة العمدة . . لأ من الدقيقة دى.

سكت وأوسع من خطوه نحو السراية . قائلا :

ـ مش عايز أسمع عن أى سرقه تانى .. ياشيخ الخفر.. سلام .

ـ ١٢ ـ

فى صباح يوم ربيعى .. وبعد أن تناول الفطور.. خرج إلى البلكونة .. يحتسى كوب الشاى .. الذى تعود عليه بعد الإفطار يوميا ، حيث جلس مشغول الذهن بزوجته رقية .. التى إقترب موعد ولادتها لأول مرة .. ويمنى النفس.. بأن يكملها الله عليه بالستر..ويرزقه بالولد . كما أنها أمنية زوجته ايضا.. حيث يعلم تماما أنها تريد الولد .. ليكون لها السند فى دار العمدة . وبينما هو كذلك .. إذ إقتحم عليه خلوته خفيره الخصوصى .

ـ صباح الخير ياحضرة العمدة . فنظر إليه شارداً .

ـ فيه واحد أفندى.. بيقول إنه مندوب الأوقاف .. وعايز حضرتك .

ـ خليه يتفضل . وقام من جلسته يستقبل الضيف . وبعد أن جلس طلب له الشاى . وبعد أن تبادلا كلمات المجاملة والسلامات .. سأله عبد الجبار :

ـ خير أن شاء الله .

ـ أنا مندوب هيئة الأوقاف..وجاى أحصل إيجار أراضى الأوقاف من المستأجرين .

كانت معلومات العمدة عن هذا الموضوع محدودة إلى حد ما .. حيث لم يكن يعرف .. مساحة الأرض الفضاء التابعة للأوقاف .. والأخرى غير التابعة .. وكم قطعة أرض للزراعة .. وهل يدفع عنها إيجار.. ومن هم

المستأجرون لها ؟ وهل كلها مؤجرة ؟. أم توجد أراض غير مؤجرة ؟. وكم كانت دهشته بالغة .. عندما علم أنها أراض كثيرة .. وتوجد أيضا أراض غير مؤجرة لأحد رسميا .. وإن كان هناك من يزرعها غصبا أو بوضع اليد.. كما أن الأراضي الخلاء ..لمن يضع يده عليها .. عند ذلك سأل الرجل وهو ينظر إليه نظرة ذات معنى :

ـ أكيد حضرتك خرجت من بيتك بدرى .. وتلاقيك ملحقتش تفطر. فصفق بيده . حضر الخفير مهرولا .. فطلب منه إعداد فطور للضيف .. وعندما هم الخفير بالانصراف .. زعق فيه .

ـ لأ ياوله .. خليهم يعملوا له فطير مخصوص .. ويعملوا حسابهم في الغدا كمان . ثم التفت للرجل مبديا مزيدا من الترحيب .

ـ حضرتك بتشرب سجاير .. مش كده برضه . ابتسم الرجل . فنادى نفرمن الواقفين أمام السراية..وطلب منه احضار علبتين من أقرب دكان .. بعد أن ناوله النقود . جلس بجوار الضيف ..لحظات صامتا .. دارت فيها رأسه .

" إيه ياعبد الجبار .. ياترى تعرف مين بهذا الأمر؟.. وتدارى عن مين ؟. ولا يجب أن تكون حويطا .. ولاتعرفش حد ؟ ولا تستنى شويه لغاية ماتعرف كل حاجه عن الموضوع وبعدين تحدد مين يعرف ومين مايعرفش.وإلا ماتعرفش حد إلا بعد ما تاخد اللى أنت عايزه .. وبعدين تعرفهم وتوزع عليهم فضلة خيرك ؟ "

أفاق لنفسه على صوت الرجل يقول :

ـ شكرا على الشاي يا حضرة العمدة .

- إيه .. يا راجل . لاشكر على واجب . ده أنت اللى تستحق الشكر على أنك شرفتنا فى اليوم الجميل ده . وأقترب منه .. وهو يربت على فخده بيده متوددا .

- وأنت حضرتك معاك كشف بكل أراضى الوقف .. المزروعه والخلا ؟

- أمال ايه .. واللى مؤجرة .. والغير مؤجرة كمان .. أمال إيه . قال ذلك وهو يفتح حقيبة صغيرة كانت بيده .. ووضعها جانبه عند جلوسه . وأخرج منها عدة أوراق .. أخذ يناولها للعمدة وهو يقول :

– دى.. الأراضى الزراعية .. ودى المؤجرة ..وده ياسيدى كشف بالمستأجرين..ودى الأراضى الغيرمؤجرة.. وعندك فى كشف المستأجريين.. اللي مسدد عليه علامة صح .. واللى مش مسدد عليه علامة إكس..وده كشف بالأراضى الخلاء.. ومساحتها . أخذ العمدة يستطلع ما فى الأوراق وهومذهول . وشد ماكانت دهشته ..عندما علم أن العمدة السابق كان يضع يده على معظم الأراضى الزراعية .. سواء بالإيجار أو بوضع اليد..ولا أحد يعلم عن ذلك شينا .. بالرغم أنه كان شيخا للبلد !!. عند ذلك أدرك بينه وبين نفسه أنه سوف يدخل فى صراع مع عائلة العمدة السابق .. وعلىذلك يجب عليه أن يطلع أنصاره على الأمر . فهم من ناحية أدواته التى سوف يقومون بتنفيذ ما يريده منهم . ومن ناحية تانيه .. هم رجاله وأنصاره الذين سوف يعتمد عليهم فى صراعه مع عائلة العمدة السابق . عند ذلك حضر النفر الذى كان قد أرسله لشراء السجاير.. فأخذه تحت إبطه وسار به قليلا مبتعدا عن الجالس ثم همس له :

ـ عايزك زى الفريرة .. تجرى تنده عـمى إبراهيم .. وشيخ الخفر.. وشيخ البلد .. تجيبهم من تحت الأرض . من غير ما حد يسمع لك صوت . ثم عاد وجلس بجوار ضيفه وهو يعطيه علبتى الدخان.لحظات وكان الفطور قد أعد . فاصطحبه عبد الجبار إلى المضيفة .. حيث كان الفطور ساخنا على صينيه وضعت على منضدة وسط الحجرة .. فجذبها العمدة بالقرب من إحدى الأرائك..وطلب من ضيفه الجلوس عليها قائلا :

ــ أنا سبقتك .. لولا كده .. كنت نلت شرف الفطار معاك .. وإن شاء الله.. على ماتنتهى من فطارك .. يكون الشاى التقيل جاهز..وعلى شان ماتنكسفش من حد ها اقفل عليك الباب . وبالهنا والشفا إن شاء الله .. عايزك تشطب على الصنيه باللى فيها .. هنيئا مريئا. وعاد إلى مجلسه فى انتظار من بعث فى طلبهم .

ـ ١٣ ـ

أول من حضر.. عمه إبراهيم .. فقال فى نفسه " خير أنه جه الأول " وبمجرد دخوله البلكونة .. نادى عليه وأجلسه بجانبه .

ــ شوف ياعم إبراهيم .. جوه مندوب من هيئة الأوقاف .. معاه كشوف بأراضى الأوقاف فى البلد .. منها المتأجر واللى مش متأجر .. ومنها الخلا واللى بتنزرع .. وفيه ناس بتدفع الإيجار وناس مابتدفعش .. وكل ده كان العمدة المرحوم .. طبعا عارفه كويس قوى .. والأراضى كلها .. إما بوضع اليد .. أو بالإيجار له هو وأفراد عيلته..

وشويه من قرايبه. وأراضى الخلا معظمها لا متأجرة .. ولاموضوع عليها يد .

سكت يبتلع ريقه .. رنا إلى عمه يستطلع وقع كلامه عليه . فوجد الرجل مذهولا مما يسمع .

أكمل عبد الجبار :

- ولما لقيت الموضوع كده قلت أبعت لك أنت وشيخ البلد وشيخ الخفر.. نشوف هانعمل إيه.. وإن كنت أنت شايف أننا نبعدهم عن الموضوع دى الوقت .. مافيش مانع. ولو إننى شايف إنهم لما يعرفوا من الأول أفضل..وآهو مافيش مانع نرضيهم برضه .. والأول والآخر هما رجالتنا ولازم هانرضيهم .

سكت عبد الجبار يلتقط أنفاسه.. وأخذ يتأمل عمه .. الذى شردت نظراته .. وبعد لحظات .. قال :

- عملت خير.. إنك بعت لهم برضه .. هما رجالتك.. وأن كنا الوقت ده بنلوم على المرحوم.. انه ماعرفش حد.. حتى أنت لما كنت شيخ للبلد .. فمن الواجب أننا نعرفهم بحكم عملهم على الأقل .. ثم يعنى أنت برضه العمدة واللى هاتعمله ها يرضى به رجالتك . عند ذلك كان يصعد عبده أبو سليمان .. وبصحبته شيخ الخفر السلالم ..تسبقهم نحنحه شيخ الخفر إعلانا بالوصول . وأنضما إليهما .. ومن باب الحرص ألا يعرف أحد شيئا عما يجرى .. صرف العمدة الخفر والأنفاربعيدا .. بحجج مختلفة .. ووقف الأربعة فى ركن بعيد من البلكونة يتشاورون . وكم كانت دهشة شيخ الخفر كبيرة .. لدرجة أنه أخذ يضرب كفا بكف وهو يقول لهم :

- ياخرابى .. وأنا اللى كنت فاكر إننى عارف كل صغيرة وكبيرة فى البلد دى . فنهره العمدة قائلا وهو يرمقه بحدة :

- مش ده وقت الولولة ذى الحريم.. ياشرابة الخرج.
فلزم الصمت وأحنى رأسه خاشعا خاضعا .. فقال العمدة :

- أنا دى الوقت جامعكم..وبعرفكم كل حاجه..علشان نكون راجل واحد فى اللى هانعمله .. وأنا فكرت كويس من ساعة ماعرفت .. واستقر عزمى على الآتى :

- الأراضى اللى عليها إيجار مندفعش للأ وقاف . ننزعها من مستأجريها . . ولو كانت تحت أيد أولاد المرحوم . ونعيد توزيعها علينا . واللى بيندفع إيجارها .. وأنا شايف أنها حته ولا أتنين ..باسم إبن المرحوم .. ما فيش مانع نخليها له .. هما يعنى قد ايه .. دى كلها ستة فدادين . أما الأراضى الخلا .. فسوف يقوم شيخ الخفر.. بحصرها ومراجعتها على الكشف اللى مع الراجل والتأكد من عدم وضع اليد على أى حتة منها .. واللى واضع أيده على أى حته منها ..بأى شكل .. تلاقيه مش دافع عنها إيجار .. وده ينطرد منها.. ونقوم إحنا بتوزيعها من جديد .

عند ذلك كان مندوب الأوقاف .. قد خرج عليهم .. بعد أن أنتهى من إفطاره وشرب الشاى . فما كان من العمدة إلا أن عرفه على الحضور .. الذين رحبوا به كل بطريقته .. وبعدها قال العمدة :

- اتفضلوا ندخل نتكلم جوه .

وقادهم إلى نفس الحجرة التى كان يأكل فيها الضيف. وكانت الصينية قد رفعت بما عليها من بقايا الطعام . ونادى العمدة على إحدى البنات التى تعمل فى

السـراية طالبـا الشـاى .. وأغـلق عـليهم البـاب. وأخـذوا يتدارسـون الأمـر مـع منـدوب الأوقـاف الـذى فعـل معـه الإفطار الشهى ..الذى لم يتناول مثله من قبل..فعل السحر. فتجـاوب معهـم إلـى أقصـى حـد .. وأبـدى اسـتعداده التـام .. لتسـهيل مـا يتعـسر من الأمـر لإرضـاء العمـدة ورجالـه .. ملمحــا إلـــى كـــرم العمـــدة الزائـــد .. الــذى غـــمره منـــذ وصوله..فقال له العمدة :

ـ وحقك ياسيدى كمـان هاتخده .. عـن داير مليم .. بعـد أن يتم كل شـىء .

وعلى ذلك تم الإتفاق بين المجتمعين . وعلى أن يتم تضـخيم الـديون المسـتحقة .. عـلـى المسـتأجرين غــير المسـددين .. بحجـة الفـوائد والضـرائب وخلافـه .. حتـى يعجـزون عـن السـداد .. وتنــزع مـنهم الأرض . ويـتم تحرير عـقود ايجـار جديـدة بالأسـماء التـى سـيحددها لـه العمدة. أما الأراضى التى لم يسبق تأجيرها .. فيتم تحرير عــقود إيجـار لهــا بأسـماء يحـددها العمـدة .. أيضـا . وبخصوص الأراضى الخلاء .. فكان أمرها هينا .. حيث انها كلها تقريبا غير مؤجرة لأحد .. فمن سيستأجر أرض ويدفع عنها إيجار وهى لا تزرع ؟!

وعلى ذلك سوف يتم تحرير عـقود لها بنظام حق الحكر ..لمن يراه العمدة . حتى اذا تم الاحتياج اليها يوما مـا فـى المستقبل كـأرض مبـأن .. فيمكن بيعهـا أو التنـازل عن حق الحكر بمقابل . . مناسب لسعر يومها . وحيث إن عـملية التوزيع على رجال العمدة .. سوف تحتاج وقت منــه .. اقتــرح عــلى الرجـل أن يستضـيفه فــى حجـرة المضيفة.. يوم أو أتنين .حتى يتم تحديد حصة لكل من

رجاله وتحرير العقود اللازمة . وللتغطية على الموضوع ..سيقولون لمن يسأل عن الضيف أنه مندوب السجل المدنى .. حضر للإطمئنان على تسجيل المواليد من الأطفال فى القرية .. حتى لايحدث تهرب من التجنيد بعد أن يكبروا . ثم بعد أن يتم كل شىء.. يسافر المندوب .. وبعد أسبوع أو أسبوعين . يعود من جديد . وساعتها يكون الناس قد نسوه . لطلب الإيجارات المتأخره .. وطرد المتأخرين .. وتنفيذ ما تم الاتفاق عليه .

– ١٤ –

بعدما انتهى العمدة .. من موضوع الأراضى .. وكما أراد . ساد القرية جو من التوتر.. والقلق . ولم يخل الأمر من بعض المناوشات .. والمقاومة .. وخاصة أثناء نزع اليد من الأراضى الزراعية .. والتى كانت بها زراعة لم تكتمل .. والتى أصر المندوب .. بإيحاء من العمدة . على نزع ملكيتها .. بحجة انه لا يريد الحضور مرة اخرى .. والعمليه تطول . وكل مرة يتلم الناس ويحصل قلق . وسبب للمشاكل .. هو .. كيف سيتم تسليم هذه الأراضى للمستأجر الجديد ؟ . وهنا اقترح العمدة .. على المستأجر الجديد أن يعوض القديم عن تكاليف الزراعة . وحدثت خلافات ومشاجرات فى تقدير قيمة المزروعات .. إلا أن الأمر فى النهاية تم كما أراد العمدة ورجاله . وخاصة أنه لم ينس أى من خلصائه ..وحاول بقدر الإمكان إرضاء كل العائلات التى تناصره.. لذا وقف جميعهم معه لإنهاء الأمر على ما أنتهى إليه . إلا أنه ترك أناساً

يشعرون بالظلم . وآخرين ثارت ثائرتهم لأخذ الأرض منهم وإعطائها لآخرين . فهددوا وتوعدوا . وأظهر أقرباء العمدة السابق استياءً شديدا .. وتزعمهم أخوه الذى كان مرشحا للعمودية منافسا لعبد الجبار. وقاموا بإرسال بعض الشكاوى إلى الأوقاف . إلا أن المندوب كان قد أعد عدته لهذا الموقف جيدا .. ورتب أوراقه جيدا .. بحيث بدا أنه حرص على جباية الإيجارات المتأخرة .. وتنفيذ التعليمات ..وخاصة أن العمدة وأنصاره وقفوا جميعا معه وذهبوا للمسؤولين شارحين وموضحين سلامة موقفهم . مما أدى إلى أن مدير هيئة الأوقاف ..قدم الشكر الجزيل للعمدة ورجال الإدارة على ما بذلوه من جهد لإحقاق الحق..وحرصهم على أموال الأوقاف .

إلا أن عبد الجبار.. بينه وبين نفسه لم يكن مطمئنا كل الاطمئنان .. إلى ما إنتهت اليه الأمور. حقا انها انتهت لصالحه ..وكما أراد لها أن تنتهى .. وأن الأمر بيده .. وكبار العائلات أنصاره .لكن ماجعل الفأر يلعب فى عبه . ويقلقه بعض الشىء .. إدراكه .. وفهمه لطبيعة ابن بلده . فليس سهلا على أى منهم أن تنزع منه أرضه .. بل الأسهل عليه أن تنزع منه ابنه أو ابنته ..أو تنزع روحه .. ولا تنزع منه أرضه . وخاصة بعد أن حرثها وبذرها بالتقاوى .. وبدأت تنبت .. ثم تأتى وتنزعها منه. وعلى ذلك طلب من شيخ الخفر .. التنبيه على رجاله بفتح أعينهم جيدا خلال الأيام القادمة . ومن جانبه .. نبه على رجاله وعيونه الخاصة .. بموافاته أولا بأول بما يدور بين خصومه الجدد . ومحاولة معرفة نواياهم .. وحاول من جانبه التودد اليهم .. ومحاولة التقرب منهم وكسب ودهم .

وما كان يدهشه ويزيد من شكه .. أن الأخبار التى تصله عنهم تؤكد على استسلامهم للأمر الواقع واستكانتهم . فزاد من ترقبه لردة فعلهم . أما أهل العمدة السابق .. فلم يكن يحمل لهم هما .. فبعد إرسالهم للشكاوى .. لم يكن أمامهم سوى القبول بالأمر الواقع . وخاصة أنه وأنصاره أشاعوا فى البلدة .. أن العمدة السابق كان موزع الأرض على أهله . ودون أن يدرى أحد بما فعل .. وأن العمدة الحالى لم يرد إلا إحقاق الحق . وقام بتوزيعها على معظم عائلات البلد .

_ ١٥ _

بالرغم من حالة القلق والترقب التى كان عليها عبد الجبار .. إلا أنه كان قرير العين بما أصبح تحت يده من ثروة .. أتته بدون أى مجهود . وفى ليلة كانت عنده .. أخته شهيرة وزوجها . وبعد أن تناولوا العشاء .. وجلسوا يشربون الشاى . مال على أخته وكانت تجلس بجواره .. وهمس لها :

ـ ايه رأيك يا أختى ..أنا عايز أرد لكم ميراثكم من الأرض . وكتر خيركم على كده . بس عايزك تسألى أخواتك .. أكتبها باسم مين؟باسمكم ولا باسم رجالتكم ؟ . قال ذلك وهو يبتسم .

ــ لأ يا خويا .. كل واحدة أولى بحقها .. أكتبها بأسامينا . والله ياخويا أنت عمرك أطول من عمرى .. أنا كنت جايه الليلة وناوية أكلمك فى كده . أصل جوزى من كام يوم كده يعنى لمح لى .. يعنى كده بالمتغطى .

ـ لأ يـا أختـى . مـن صـباحية ربنـا هـا أخـدكم بربطـة المعـلم عـلـى الشـهر العقـارى . وربنـا يبـارك لكـم فيهـا . ثـم إلتفت إلى زوجها قائلا وهو يضحك .

ـ عـن إذنـك ..هاخد مراتـك منك بكره ..أفسـحها لـك شـويه فـى البنـدر وأرجعهـا . وإلا أن كنـت مـش عــايزنى أرجعها لك تانى .. أسيبها هناك وآجى . فضحكوا جميعـا.. ورد .

ـ لا ياعـم أنـا مقدرشـى أسـتغنى عــن ضـوفر مـن صباع رجلها .

فعلا ضحكهم من جديد .

وبعد انصرافهم .. بقى هو ووفيق ورقية . وبعد قليل من اللحظات التى سادها الصمت . قال:

ـ أنـا مـش عــارف نعمـل إيـه فـى الأرض .. نطلعهـا بالزرعة .. ولا نزرعـها ولا تباشرها يـاوفيق .. ولا نكرى لها خولى ؟. أيه رأيكم ؟

ـ لاخولى ولا حاجـه .. ماتشـغلش بالـك يابـا . إن شـاء الله أنـا قدها وقدود . وآهو نفسك معانا برضه .

ـ لأ يـابنـى .. الأرض مسئوليتها مـش سـهله وكبـرت عليك .

ـ هو أنـا يعـنـى هـا أعمل ؟.لاهاأزرع ولا هـا أقلـع .. أنا ها أشرف عـلى الرجالة .. والحمد لله الرجالة كتيره فـى البلد .

ـ طيب خلى لك رجالة .. يعنى أنفار تكون دايمـا مـن رجالتنـا وبتوعـنـا .. عـلشان يكونوا معانـا دايمـا .. وابقـى راعـيهم شويه .

ـ ماشى يابا .

ـ وخلى بالك من عيلة الباز .. كلهم رجاله وخاليين شغل .. وأرضهم على قدهم . وطول السنه هاتلاقيهم فاضيين .

كل ما كان يشغل بال عبد الجبار أنه كان يريد أن يجعل من العمل معه فى الأرض .. مصدر رزق للرجالة التى يضمن ولائها له ..بدلا من أن يذهبوا مع الترحيلة..فى بلاد الله خلق الله .

ـ ١٦ ـ

لم يطل انتظار العمدة وترقبه .. ففى ليلة ربيعية .. وبعد أوقات ممتعة قضاها مع زوجته رقيه .. وخلدا للنوم. هب من رقاده على صياح .. ودوى طلق نارى . . شق عنان السماء وخرق الصمت المخيم على القرية . وأصوات الحيوانات فى حظيرته يكاد أن يخرق أذنيه . فهرول خارجا بملابسه الداخلية . وتوافد خلفه أفراد عائلته .

ـ أقف مكانك.. ها أضرب فى المليان . هكذا كان يصيح خفيره الخصوصى .

وأصوات أقدام تعدوا تصل إلى أذنيه.. لكنه لايكاد يرى من شدة الظلام حوله.

صرخ العمدة :

ـ فيه أيه ياخفير ؟ .

بعد ما تعرف الخفير على صوت العمدة .. هرول إليه .. وقد تجمع عنده .. أفراد عائلته .. وبعضهم كان

يحمل لمبات الجاز .. وفوانيس تساعدهم علـى تبديد جزء يسير من ظلام الليل .
- شوية حراميه .. طلعوا فوق الزريبـة .. لما حسيت بيهم زعقت عليهم .. وضربت عليهم طلقة .. جروا كلهم في الضلمة .
عند ذلك كان قد وصل إلى المكان .. بعض الخفر.. ثم شيخ الخفر.. وبعض أبناء عمومته .. كل حسب قرب داره . ثم شيخ البلد وعمه إبراهيم .
وبمرور الوقت .. تجمع حشد كبير من أقاربه وأنصاره .. والتفوا حوله .. معبرين عن دهشتهم وانزعاجهم .. مستفسرين عما حدث ، وعندما تبين لهم حقيقة ما حدث . سرت بينهم موجة من الغضب .. وطالبوا بضرورة الثأرمن الفاعل .. أيّا كان . ومنهم من طالب بضرورة التعرف على الفاعل أولا .. وكان هناك استنكار تام لما حدث .. فكيف يصل الأمر إلى محاولة سرقة دوار العمدة ؟!. وسرت بينهم أقاويل .. تتهم أشخاصا بعينهم .. وأخرى تتهم عائلة معينة . عند ذلك .. انسحب العمدة .. الذى ظل صامتاً .. صاعداً إلى البلكونة . فتبعه عمه إبراهيم وشيخ الخفر وشيخ البلد وكبار الرجال الموجودين من أنصاره . وظل مكانهم باقى الموجودين .
جلس العمدة بينهم صامتا.. بعض الوقت . أدرك بعدها أنه بملابسه الداخلية . فدخل وارتدى جلبابه وعاد اليهم .. ليخيم صمت الذهول عليهم من جديد .
بعد لحظات وجه كلامه لشيخ الخفر :
– الصبح .. مع طلعة الشمس . عايز أعرف مين دول اللى جاتلهم الجرأه على كده ؟ ومين اللى وراهم إن

كان حد وراهم ؟ .
قال ذلك فى لهجة قاطعة .
- أوامرك يا حضرة العمدة. وقام منصرفا. وتبعه من كان موجودا من خفره .
فوجدها عبده أبو سليمان فرصة :
- اللى حصل ده .. أول مرة يحصل فى البلد .
رفع العمدة يده مطالبا الكل بالصمت . ففهم الحضور أن الرجل يريد أن يختلى بنفسه . بدأوا فى الإستئذان منصرفين واحدا بعد الآخر. بعضهم إنضم للواقفين بالشارع .. والبعض إنصرف إلى بيته .
عندما انتبه العمدة .. لوجوده وحده . نظر حوله .. فوجد ابنه وفيق يجلس بالطرف الآخر من البلكونة .. وحده أيضا . ناداه .
- أيه .. قاعد لوحدك ليه يا ابنى ؟.
- بفكر فى اللى حصل .
- ووصلت لإيه .
- أكيد طبعا .. اللى عملها .. من اللى كانوا مأجرين أراضى الأوقاف واتخدت منهم .. ولازم أعرفهم واحد واحد .. وكمأن لازم يتربوا ..ويعرفوا أن عمدة البلد وسيدها ما يتعملش فيه كده أبدا .
- إيه ده .. إيه ده .
- أنا ماعدتش صغير يابا .. واللى حصل ده إهانة لنا كلنا .
هز عبد الجبار رأسه .. ولاذ بالصمت . فانصرف وفيق خارجا .. وأنضم للوقوف جوار السراية .. وسرعأن ما أحاط به أفراد شلته من الشباب .

رجع عبد الجبار برأسه إلى الخلف .. مسندا إياها إلى الحائط .

" أيه ده يا عبد الجبار .. يا عمدة البلد وكبيرها ، وصل الأمر إن فيه حد فى البلد بيفكر .. لأ مش بيفكر ، ده فكر وخلاص . وبيحاول يسرقك ؟ !. ولا ياترى كان عايز حاجه غير السرقه ؟ طب كان عايز إيه ؟ . ياترى كانوا عايزين إيه ؟ يسرقوا البهايم ؟ ولا الحصان ؟ ولا كانوا عايزين يدخلوا السراية ويموتونى وأنا نايم ؟ كانوا عايزين إيه بالظبط ياعبد الجبار ؟ عايز أعرف ضرورى ..كانوا عايزين إيه ؟ ووصل تفكيرهم لأيه ؟ بصرف النظر عن الفعل والفاعل . علشان أعرف أقدر رد فعلى يكون شكله أيه ؟ إذا كانت النيه سرقة ؟ يبقوا لازم يتعلموا الأدب كويس على قول وفيق أبنى . وإن كانت النية قتلى؟ أو أي حد من العيلة؟ يبقى الموضوع فيه كلام تانى خالص".

عند ذلك نهض العمدة من مجلسه .. أقترب من سور البلكونة .. أسرع إليه بعض من رجاله . أشار إليهم .. فصعدوا إليه .

- هيه .. كل ده يحصل ومافيش عندكم خبر..إزاى؟. أنا عايز أعرف مين اللى عمل كده واحد واحد ؟ وكان عايز إيه بالظبط ؟ قبل ماشيخ الخفر يبلغنى تكونوا أنتم اللى مبلغينى . وبعدها هايكون لى كلام تانى معاكم . ونظر إليهم متوعدا.. وأشار بيده للانصراف . فأسرعوا من أمامه وعاد إلى مجلسه .

" أيه ياعبد الجبار .. يا ترى الأيام الجايه مخبيه لك أيه ؟. أنا ماكنتش ميال لأى شر.. لكن باين أنهم هما اللى

هايجرونى له . راودته نفسه أن يلتمس لهم العذر.. ما هو أنت برضه اللى خليتهم يعملوا كده . يعنى لو كنت سبت لهم الأرض لبعد جنى المحصول كان حصل أيه يعنى ؟ . يعنى لو كنت أنت مكان أى واحد منهم مش كنت عملت كده وأكتر من كده كمان؟!.عند ذلك وجد نفسه يميل إلى الهدوء . تصاعد من داخله صوت عال يصرخ به :

- لأ .. أنت العمدة .. ولازم يكون لك هيبتك مهما كان ومهما عملت . النهارده بيسرقوا دارك .. وبكرة هايعملوا إيه ؟!. مال إلى ذلك وأمن عليه .. حتى أنه وجد نفسه يقول بصوت عال :

ـ أيـــوه .. أنا العمدة .. ولازم تكون هيبة العمدة فوق كل اعتبار.

وصرخ من داخله صوت :

- الهيبه بتيجى من العدل ياعمده .. مش من القوة .

- لأ .. لأ .. القوة هى اللى بتولد الهيبة .. سواء فيه عدل ولا مافيش عدل ."

سخنت رأسه .. هزها لعله يزيح عنها مابها من أفكار . قام من مجلسه .. تحرك .. لعل الحركة توقف مايدور فى رأسه . وصل إلى نهاية السور من ناحية الحظيرة .. إنصرف من كانوا مجتمعين ما عدا الخفر. نظر إلى السماء .. بشائر ميلاد نهار يوم جديد .. تولد فى الأفق . ترى ماذا يحمل معه ذلك الصباح الجديد ؟!.

وقف وفيق مع أفراد شلته بعض الوقت بجانب السراية .. ثم اتجهوا إلى دار أحدهم حيث اعتادوا كل ليلة السهر فيها . واكتمل عقدهم بالرغم من أنهم فى وقت غير المعتاد . ساد الصمت بينهم لحظات .. تكلم بعدها وفيق قائلا:

- العمليه دى مش سهله على العمدة ياجماعه .. ولا علىّ أنا كمان . .. واللى أنا باطلبه منكم الوقت ده .. معرفة اللى عملوا العمليه المنيله دى .. وبأسرع من رجالة العمدة .. إيه قولكم ؟! .

كان بينه وبين نفسه يريد أن يثبت لأبيه أنه إبن عبد الجبار بحق وحقيق .. وانه امتداد له وأهلا للعمودية من بعده . بعد العمر الطويل له . فهو لم ينس أن له زوجة أب وتحلم بأن يكون أحد أبنائها هو الوريث فى العمودية لأبيه . كما أنه فى نفسه .. وجدها فرصة لأن يجعل أبيه يغير فكرته عنه . وأنه لم يعد ذلك اللاهى الباحث عن المتعة والملذات .. وبعيد كل البعد عن أن يكون رجلا يعتمد عليه فى الملمات والشدائد . وعلى ذلك كان كله رغبة أن يثبت لنفسه أولا ولوالده ثانيا ولكل رجال البلد ثالثا .. أنه قوة لايستهان بها .. ويجب أن يعمل لها ألف حساب وحساب .. فى تسيير أمور القرية .. وانه ابن عمده بحق .. وليس منظره أو ولد خيخه .

كل ذلك كان يدور فى رأسه .. بعد أن أنهى الجلسة مع رجاله . فخرج يطوف القرية فى الظلام هو ومن معه قائلا بالفم المليان لكل الناس :

ـ أنا هـنــا .

ثم اتجه إلى السراية منفردا .. منتظرا من أنصاره مـا أتفق عـليه .

ـ ١٨ ـ

مـا أن أشـرقت شـمس اليـوم التـالى .. واضـعة نهايـة لتلك الليلة .. حتـى كـان ماحدث فيهـا حديث أهل القـرية .. فى الشوارع وهم جالسون عـلـى المصـاطب .. فـى الحقول أثناء العمل .. فى المنازل والمقاهى .

فالذى حدث أمر لم يسبق أن سمع بـه أحد .. وكـان محـور الحـديث فــى كـل مكــان ..يـدور حـول تكهنــات لشخصيات الفعلـه .

من هم ياترى الذين وصلت بهم الجرأة إلى هذا الحد؟ بغض النظر عـن الأسباب والدوافـع . فالدوافـع موجودة لـدى كل فـرد ضد كل فـرد قد يحدث بينه وبينه مشكلة مـا . أمــا أن يتجاسـر فــرد.. أو مجموعــة أفـراد ..مـن القريــة ويقـدمون عــلـى محاولـة سـرقة .. أو اعــتداء عــلـى بيـت عـمدة القرية .. فـهذا أمر خارج عـن المعقول .. وفوق كل احتمال .. وأبعـد مايكون عـن التصور.وكان الشيخ إبراهيم أكثر أهل القرية ذهولا وغـضبا فى الوقت نفسه . ولولا أنـه معروف بقدرته الفائقة عـلى ضبط النفس وحسن التدبر .. لصدر منه مـن الأقوال والأفعـال مـا يتجـاوز كـل حـد للعقل والمنطـق . فلـم يتصـور فــى يـوم مـن الأيــام ..أن يصـل الأمرفـى القريـة إلـى ماوصـل إليـه .. ويقـع فيهـا مـا وقـع . وعــلى ذلـك كـان بداخلـه إصـرار شـديد.. عــلـى أن يكـون

هناك عقاب عنيف لمن فعلوا هذه الفعلة .. ليكون بمثابة رادعا لمن تسول له نفسه فعل ذلك مرة أخرى . وإلا ستكون العمليه سيبه.. وكل واحد من كبار رجال البلدة عرضة لأن يحدث له مثل ماحدث وأكثر . حقا كان لديه اليقين بأن موضوع توزيع أرض الأوقاف وراء هذه الواقعة .. إلا أنه كان يقول فى نفسه أيضا .. وأيه يعنى . ده عمدة البلد .. وكبيرها ياناس . ومهما عمل لازم يكون فيه إحترام .. وهيبة له كعمدة . وإلا ضاع فى البلد الكبير أمام الصغير وبقت هيصه . على حد قوله لأولاده الذين زرع لديهم الحماس والرغبة فى الأخذ بالثأر لما حدث .. وأن يكونوا وإبن عمهم يدا واحدة على من فعلها . أما شيخ الخفراء فكان يرى من جانبه.. أن ماحدث ماهو إلا تحد واضح وصريح لشخصه ولرجاله . وأنه قد لحقت به إهانة شخصية لا تغتفر.. وسيظل ما حدث قلما على قفاه يحس به ساخنا حتى يموت . حسب تعبيره لخفره وهويؤنبهم ويوبخهم .. لعجزهم عن منع وقوع الحادث من البداية . وأن عليه أن يثبت لنفسه أولا وللعمدة ثانيا.. أنه كمسؤل عن الأمن فى البلد ..مازال قادراعلى ردع من تسول له نفسه ..الخروج عليه . ولابد وبأسرع ما يمكن .. الوصول إلى الجناة والقبض عليهم .

وأما عبده أبو سليمان .. فقد إعتبر أن ماحدث ماهو إلا نتيجة طبيعيه لعجز شيخ الخفرورجاله ..عن حفظ الأمن . وعجزه عن الإلمام بكل مايدور ويحدث فى البلد . فكيف يتم التدبير والتجمع للتنفيذ بعيدا عن عيون المسؤولين عن الأمن ؟ وخاصة وهو دائم الإدعاء أنه يعرف دبة النملة . وبعدين يطلع لاعارف دبة النملة ولا

حتى دبة الفيل . مما جعل شيخ الخفر يعتب عليه ويشكوه للشيخ إبراهيم الذى نهرهما معا قائلا:

- ليس هذا الوقت ..وقت مثل هذه التصرفات . انما الوقت ده وقت أن نكون كلنا رجل واحد ويد واحده .. والا اللى عملوا كده يضحكوا علينا .. ويضحكوا البلد علينا . ويقولو لهم شوفوا الرجاله اللى بتحكم البلد.. وهمابيتخانقو مع بعض . فوافقه الإ ثنأن على قوله.. وإنصرفا كلا فى اتجاه . إلا أن شيخ الخفر أسرها فى نفسه له .

شيخ الجامع رأى فى الأمر شيئا مختلفا عن الآخرين.. فبعد صلاة الفجر .. صباح الحادث .. طلب من المصلين البقاء قليلا .. وخطب فيهم قائلا :

- إن ماحدث يدل على أن الساعة اقتربت وأن ذلك من علاماتها .. وأنه خروج على أولى الأمر. وأن من فعلوا ذلك إنما يعيثون فى الأرض فساداً.. وعلى ذلك يجب نفيهم من البلد.. ليعود الأمن والأمأن إلى ربوعها . وانهم فئة مارقة. ولابد من أن تقف القرية كلها مع عمدتها.. للتعبير عن استنكارها لما حدث . وختم قوله الآية :

(وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم)

وانصرف المصلون .. منهم من دخل دماغه كلام الشيخ.. ومنهم من سخر منه فى نفسه..متهما إياه بأنه ديل العمدة . وفقيهه الخصوصى .. ومنهم من لاذ بالصمت .

أما من كان يضمر العداء للعمدة..فقد أخفى فرحه.. بما حدث فى نفسه . وأغلق عليه داره . ومعارضوه رأوا الوقوف على الحياد .. فلا يبدون فرحا.. لأن ماحدث أمر

غـير مقبـول . وأن كـانوا يرونـه رسـالة واضـحة للعمـدة ليراجع نفسه ويصحح أخطائه التى أوصلت الأمور إلى هذا الحد .

وهكذا جرت الأمور فى القرية .. حتى إذا اعتلت الشمس كبد السماء .. وإقترب وقت الظهيرة . شهدت المنطقة القريبة من السراية .. مشهداً فريدا . إذ اقترب شيخ الخفر فى عدته الكاملة ..وجميع خفره . يقودون خمسة من الشبان مكتوفى الأيدى من خلف أظهرهم .. ومربوطين بحبل واحد .. طويل . يمسك آخره أحدالخفر.. وأوله شيخ الخفراء بنفسه . وهو يقود الركب .. شامخا برأسه متهلل الأسارير. وقد إلتف حولهم الناس فى جمع حاشد .

ـ ١٩ ـ

عندما إقتحم شيخ الخفر على العمدة مجلسه فى البلكونة .. معلنا أنه تم القبض على الجناة . مستأذنا فى إحضارهم إليه . انتابته مشاعر متناقضة . إلا أنه أبعدها عن رأسه مؤقتا .. حتى يعرف من هم الجناة فعلا . وعندما حضروا أمامه .. وكان معه عمه وعبده أبو سليمان وبعض الرجال وإمام المسجد . تطلع العمدة إليهم يتأملهم واحدا واحدا. دهش لما يراه . فالمقبوض عليهم عمال يومية .. أجراء .. يعملون ليطعموا أنفسهم . حقا يبدوا عليهم الفقر والحاجة .. لكن ليس إلى درجة محاولة سرقة دوار العمدة .

" دية الواحد منهم كده يسرق له شوال أرز أو شوية دقيق .. ده أن سرق . ويتدارى عن العين .. أما أن يفكر ويتبجح ويحاول يسرق دوار العمدة .. فدى كبيره قوى . أيه التمثيليه اللى أنت عاملها دى ياشيخ الخفر. عايز تبين لى إنك صاحى وبسرعه قبضت على الجناة .. ولا أنت عايز تضرب المربوط علشان يخاف السايب ؟. ولا إنت عملت كده لتعطى الجناة الأمان.. حتى تقبض عليهم ؟. "

رنا العمدة اليه .. محاولا إستجلاء ما يضمره . لكن الرجل كان يقف متباهيا .. منفوخا .. كما لو كان قد قبض على الجناة فعلا. فحنق عليه جدا. ولاذ بالصمت . نظر إلى عمه إبراهيم .. ثم إلى عبده أبو سليمان . فلم يجد ما يدل على اقتناع أى منهما بما يجرى أمامهم . إلا أن إمام المسجد..هب واقفا كأنما يريد أن يلقى خطبة عصماء .

ـ أن الله ينصر من ينصره .. وها هو شيخ الخفر يعلنها أمامكم ياعمدة البلد وكبيرها .. وهاهم اللصوص أمامكم مكبلون فى الأغلال .. ولابد أن يوقع عليهم الجزاء الرادع لأمثالهم . نظر اليه العمدة نظرة ناريه .. فخف حماسه بعض الشيء .. وارتبك .. ولم يعرف كيف يكمل خطبته .. فغمغم ببعض الكلمات وجلس .

نظر شيخ البلد إلى شيخ الخفر وابتسم ساخرا .

ـ آهو ده الشغل اللى بصحيح .

ثم نظر إلى العمدة يستحثه على إنهاء هذه المهزلة . فكر عبد الجبار قليلا .. ثم نظر إلى عمه إبراهيم ..الذى إرتسمت على وجهه إبتسامة ساخرة ..لم يعرف كيف يداريها .. رغم حرصه على ذلك .

ـ طيب ياشيخ الخفر .. دخلهم الحجز دى الوقت .. على ما نشوف هانعمل معاهم ايه . وغمز له بعينه .. بما يعنى انهى الموقف . فانسحب من أمامه..وكأنما ألقى عليه سطل من الماء البارد.ومحاولاً الإبقاء على بقايا كبريائه .. صرخ فى الخفر .

ـ يا الله .. ياواد أنت وهو.. دخلوهم الحجز.

ثم ألتفت إلى الجمع الحاشد حول البلكونة وزعق فيهم .

ـ يالله ياخويا أنت وهو .. كل واحد يروح لحاله .

فانصرف كل منهم إلى حاله .. وأن بدى على أغلبهم .. عدم تصديق ماهو ماثل أمامهم .

أما وفيق فقد كان يجلس فى الطرف الآخر من البلكونة .. وكان الأمر لا يعنيه . وبعد أن دخل الرجال الحجز..وإنصرف الحشد من حول السراية .. جاء واحد من رفاقه .. وجلس بجانبه .. وتحدثا معا بعض الوقت .. ثم انصرف .. وترك وفيق وقد أعترته الدهشة . وأن ظل جالسا . ورنا بناظريه إلى والده .. وعندما وجد الجمع اقتصر عليه وعمه وشيخ البلد .. ذهب اليهم .. حيث بادره أبوه :

ـ هيه يا وفيق .. أخبارك ايه ؟ .

ـ اللى عمل العمليه دى .. خمسة رجاله .. إتنين من عيلة ابو العز.. وتلاته من عيلة الشوربجى .. وكان الغرض سرقة الحصان . بادر شيخ البلد .. معلقا .

ــ آهو ده الكلام اللى يدخل الدماغ بصحيح .مش تمثيلية شيخ الخفر .

ـ متأكد من كلامك ياوفيق يابنى . هذا ما قاله الشيخ ابراهيم .

ــ ده اللى عندى .. وكل واحد منكم هايعرف بطريقته .. وأن شاء الله كلامى هو اللى هايطلع صح .

ـ وعرفتهم بالإسم ؟

ـ أيوه يابا .. ومنتظرمنك الإذن .

ــ إذا كان الموضوع كده يبقى كفايه عليهم إنهم يتعلمو الأدب .

ـ نوديهم المركز يتبهدلو لهم يومين هناك .

ــ مركز أيه ياشيخ البلد .. وهانقول أيه لظابط المباحث .. وهو فاهم عنى من أيام ماكنت شيخ بلد .. إنى مالى هدومى .

ـ سيبلى العمليه دى يا با .

نظر إلى إبنه .. وقد كبر فى عينيه .. تصور لحظتها إنه لم يعد ذلك الشاب اللاه .. وبدا له رجلا يملأ هدومه بصحيح .. وقد برم شاربه .. اللى يقف عليه الصقر.

ـ هاتعمل أيه ؟.

ـ سيب لى الموضوع ده .. وهايتم بعيد عننا كمان . علشان مايتقالش أن العمده له علاقة به . وأن شاء الله تسمع كل اللى يرضيك .

ـ يابنى مش عايز العملية تتجاوز حدود أنا راسمها فى دماغى. يعنى ماتزيدش عن قرصة ودن.. بس جامده شويه .

ـ أنا فاهم إنت عايز أيه بالظبط .

ــ طب إستنى كام يوم لما نتأكد إنهم فعلا اللى عاملينها .

ـ ماشى .. قدامك يومين .. كفايه ؟.
قال ذلك وتركهم منصرفا .

ـ ٢٠ ـ

بعد موكب شيخ الخفر بيومين ..استيقظ أهل البلدة..على صراخ النساء فى دارين.. واحدة منهما فى عائلة أبو العز ..والأخرى من ديار عائله الشوربجى .. فهرع إليهم أهالى البلدة . وكم كانت المصيبة واضحة للعيان . فقد كان الصراخ من داخل حظائر الماشية فى كل دار.. وقد تمدد على أرضية كل منهما .. إثنان من قطع الماشية فى كل حظيرة .. وتبقى واحدة واقفة . وقد أخذ الرجال من أهل الدارين جانبا .. وقد إنهمرت الدموع من أعينهم ساخنة .. كأن ولدا من أولاد كل منهما قد مات . وتجمع حول كل من الدارين.. حشد من الأقرباء والأصدقاء والجيران . وهرع على إثر ذلك كل من شيخ البلد والخفر .. وزاروا معا فى البداية.. دار ابن أبو العز.. الذى كان واقفا على مدخل الحظيرة.. يسند ظهره إلى الحائط .. وزوجته جالسة على أرض الحظيرة.. تبكى وتولول وتضرب رأسها بيديها قائلة :

ـ ياخراب بيتك يا فاطمه .

وتارة أخرى تصرخ .. وتدعوبقلب مكلوم على من فعلها بهم :

ـ ربنا يحرق كبدك ياللى عملتها .. ذى ما أتحرق كبدى .

وقد تجمع حولها حشد من النساء .. يحاولن التخفيف عـنها . وعـندما رأت الوافـدين عـلا صـراخها أكثـر .. وأخذت تردد :

- منكم لله .. منكم لله .. ربنا ينتقم منكم .

فنهرها زوجها قائلا :

- ياوليه ياهبله .. إنت جرالك إيه .. هما مالهم دول .

– مراتك قصدها إيـه .. تكونش بتتهمنـا أن إحنـا اللـى عملناها ؟.

- ياشيخ البلد .. الولية إتهبلت .. أنت هاتاخد لها عـلى كلام برضه ؟.

— عـموما ربنـا يصـبركم عـلى مـابلاكم.ودخـلا الحظيرة.. وكم كـان المنظر مؤثرا فيهما . وخاصـة أنهما يدركان تمام الإدراك قيمة الماشية وأهميتها عـند الفلاح . فوقفا يتـأملان الجاموستان ..وملامح التـأثر باديـة بصـدق عـلى كل منهما .. وكل من احتشد حولهم .

تذكر شيخ البلد ماقاله وفيق إبن العمدة ووعده لأبيه بتأديب من تجرأ وحاول سرقه الحصان . فتسائل بينه وبين نفسه .

- ياترى ياوفيق .. إنت اللى عاملها ؟. آه من جمدية قلبك يادى الواد . وياخوفى عليكى يابلد .. منـه ومـن اللـى حواليه .

فلـم يكـن يخفـى عـليه ماكـان يفعـله وأصـحابه مـن شباب البلده . فازداد حزن الرجل وأساه عـلى ماحدث . أما شيخ الخفر فقد وقف يتأمل البهائم الممددة أمامه .. وهو يجهل جهلا تاما الفاعل الحقيقى . ويحدث نفسه :

- أيه المصايب اللى قاعده تنزل على دماغى ..هو أنا هلاقيها منين ولا منين . وبعدين حكاية سم البهايم دى جديده على البلد خالص ..هيه الناس لاقيه تاكل لما هاتسمم بهايم بعضيها ؟.

ولم يتمالك رجل من الواقفين نفسه .. فقال فى حدة لشيخ الخفر :

- يرضيك اللى إنت شايفه ده .. ياشيخ الخفر ؟.

- لأ .. مايرضنيش .. ولا يرضى مؤمن أبدا .

- طيب وها تعمل أيه إن شاء الله ؟!.

- لازم نعرف طبعا مين الفاعل ونقدمه للعدالة .. لازم القانون ياخد مجراه .

ــ القانون ياخد مجراه ؟!.. ومجراه ده هايعوض الراجل عن بهايمه إزاى ؟!.

- الله ..ده دى ..ده دى..وأنا ياعنى اللى هاعوضه ؟.

- لأ .. لا سمح الله . أنا ماقلتش كده .. بس إنت كنت فين إنت ورجالتك لما اللى عملها .. دخل وحط السم فى الأكل للبهايم فى الدارين وفى ليلة واحدة ؟؟. على فكره ماتحاولش تفهمنى أن ده مش حادث مقصود .

- قصدك أيه ياواد ؟.

- قصدى واضح .. دى بفعل فاعل . ياشيخ الخفر . وبغرض الإنتقام كمان .. مش كده ولا أيه ياشيخ البلد ؟.

- والله إنت باين عليك بقيت تعرف عن شيخ البلد وشيخ الخفر.. كمان . أنا نفسى مش عارف إنت قصدك أيه؟. وإذا كنت بتتهم حد .. ولا فى دماغك حاجه خليك راجل وقولها عنى المكشوف.قاعد تلف وتدور على أيه؟. هى البلد فيها حاجه بتستخبه ؟.

ـ آهو أنت جبت الخلاصة .. البلد مافيهاش حاجه بتستخبه . وبكره هانقعد جنب الحيطه ونسمع الزيطه .

عند ذلك رفع شيخ الخفر عصاه الخيرزان التى لا تفارقه .. قاصدا ضرب الرجل .. الذى تحرك من مكانه مسرعا .. وهويقول :

ـ آهو ده اللى إنت شاطر فيه .

عند ذلك غادرا المكان إلى الدار الأخرى .. وحدث هناك شىء من اللغط .. والهمز واللمز .. الذى أدرك شيخ البلد مقصده تماما . فى الوقت الذى جهل شيخ الخفر كل شىء عنه .. تمام الجهل .

ـ ٢١ ـ

بعد عصر ذلك اليوم .. اجتمع فى بلكونة العمدة.. كل من العمدة وشيخ الخفر.. وإمام القرية .. وكبار رجال البلد ة . يتشاورون فيما يجب عمله إزاء تلك الحادثة التى وقعت فى البلدة لأول مرة . فلم يصل الأمر .. مهما كانت العداوة بين العائلات أو الأفراد .. إلى هذه الدرجة .. ولأن الحادث كان جديدا فى نوعه..وخطيراً فى نفس الوقت . أخذ كل من الحاضرين كل يدلوا بدلوه .. دون أن يصلوا إلى شىء . ذلك لأن الفاعل مجهول .. ثم إن دوافع الفعل أيضا مجهولة . من وجهه نظرَ الحاضرين .

فاقترح أحد الحاضرين على العمدة ..أن يرسل فى إحضار المصابين.. وخاصة أنهما لم يتقدما ببلاغات.. ولم يعلنا اتهامهما لأحد بشكل مباشر. وأن سرت من حولهم أقاويل .. تطال العمدة وأهله فى مجملها . فرحب العمدة

بذلك الإقتراح . وأرسل خفيرا لإحضارهما . فأتيا معه بعد تمنع .. وصحب كل منهم بعضا من أقاربه وجيرانه .. فامتلأت البلكونة . بالإضافة إلى من وقف على السلالم وأمام السراية .ووقف الرجلان وكل منهما مطأطىء الرأس محنى الهامة ..كإنما يحمل كل منهما على كاهليه جبال الدنيا .. وعلامات الأسى والحزن .. تصبغان وجهيهما.. لدرجة تثير الشفقة .

ـ هيه.. يارجاله .. مالكم ماتقدمتوش ببلاغ ؟.

فرد ابن أبو العز .. وهو يرفع وجهه فى وجه العمدة على إستحياء .

ـ بلاغ أيه ياحضرة العمدة .. هو إنت مش عرفت خلاص ؟.

ـ إيوه عرفت.. بس لازم تتقدموا ببلاغ.. وتقولوا فيه إن كنتم بتتهموا حد ولا لأ..علشان تاخد الأمورمجراها القانونى .

ـ إحنا مش مقدمين بلاغات .. ومش هانتهم حد . ربنا هو المطلع .. وهو المنتقم الجبار .

عند ذلك هب إمام القرية وقال:

ـ آهو ده الإيمان اللى بصحيح .

ـ ونعم بالله .. يعنى إنتم مابتتهموش حد .

ـ لا .. يا حضرة العمدة . فنظر العمدة فى وجوه الجالسين .. قائلا :

ـ إيه رأيكم ياجماعه .. آهو الكلام قدامكم أهوه .. إنتم شايفين أيه .. الرجاله ومش مقدمه بلاغات .. ولا حتى بيتهموا حد أعمل أنا أيه ؟.

ـ يقول الله فى كتابه الحكيم " وتعاونوا على البر والتقوى ".
- قصدك أيه يامولانا .
- نجمع لهم حق البهايم اللى ماتت .. وآهو كل واحد على حسب مقدرته .
ـ وأنا ماعند...... قاطعه الرجلان قبل أن يكمل عبارته .. وفى صوت واحد .
- إحنا مش عايزين صدقة من حد . فرد العمدة :
ـ دى مش صدقه.. دى زى عملية المزاملة فى الأرض..إنت بتعاونى النهارده.. وأنا باعاونك بكره.. ولا أيه يارجاله .
علا صوت بعض الجالسين :
- إيوه ياعمده .. كلامك مظبوط .
- وإحنا متشكرين ياجماعه .. كترخيركم على كده .
إحنا رجاله .. وقادرين بعون الله نصلب طولنا من تانى .
أمن على قولهم بعض الجالسين .. وأبدى البعض الآخر تعجبهم من موقفهم .. إلا أن السواد الأعظم أبدى إعجابه بما قالوه .
- والله كده .. إحنا اللى علينا عملناه .. وأنتم أحرار.. وكل واحد عقله فى راسه .. يعرف خلاصه .
- عايزنا فى حاجه تانيه ياعمدة .
- لا .. اتفضلوا .
فانصرف الرجلان وتبعهما الحشد الذى حضر معهم.
ساد الصمت لحظات.. بين الجالسين . وإن كان القلق يهيمن علىالعمدة وعمه وشيخ البلد . فالعمدة ..

فهم من موقف الرجلين أن لديهم إصرارا على الثأر لما حدث لهم . وهو متيقن بينه وبين نفسه .. أنهم يعرفون تمام المعرفة .. أنه هو الذى يقف وراء ما حدث . لكنه قال فى نفسه " هىء .. أوسع مافى خيلهم يركبوه .. ده أن كان عندهم خيل. والجدع فيهم يقرب ناحية أى حاجه تخصنى.. وبينى وبينهم الأيام ."

أما الشيخ إبراهيم .. فقد أيقن أن الرجلين لديهم النية فى الإنتقام .. فسخر منهما فى نفسه " طيب ورونى كده هاتعملوا أيه .. جاتكم الخيبة .. كنا لمينا لكم قرشين .. أفيد لكم من العنطظه الكدابه دى ". أما شيخ البلد فكان له رأيا مخالف تماما لما ذهب اليه العمدة وعمه . فإنه يتصور أن وصول الأمور إلى هذا الحد . يجعلها غير قابلة للسيطرة.. فمن السهل على أى حد دس السم للبهايم فى غفله من أى حد .. وليس للبهايم بس .. والبنى آدمين كمان". وكان يتمنى أن يقبلا حلا وسطا ولو حتى مال العمدة على نفسه شويه . وبعد لحظات .. بدأ الجالسون فى الانصراف كل إلى داره .

وعندما هم العمدة للدخول..لمح وفيق جالسا فى الركن البعيد كعادته..فناداه وتأبطه..داخلين معا..وهمس له:

ـ القرصه كانت شديده شويه .. ياوفيق .

ـ ٢٢ ـ

مغرب ذلك اليوم .. أمر العمدة بالإفراج عن المحجوزين الخمسة .. فلم يعد هناك .. من وجهه نظره .. مايبرر حجزهم .

هذا من ناحية .. ومن ناحية أخرى .. طالما بدر من العائلتين ..الأقاويل التى تدل على إتهامهم لدار العمدة .. فمعنى ذلك أنهم بينهم وبين أنفسهم .. يقرون ويعترفون أنهم فعلا من قاموا بمحاولة سرقة دوار العمدة . وحتى لايبدو فى موقف ضعيف .. أراد أن يكون اللعب على المكشوف . واستدعى شيخ الخفر .. وشيخ البلد .. وأمرهم بالتنبيه على الناس فى الجوامع .. وفى كل مكان .. وإرسال منادى.. ينادى فى القرية..أنه على كل بيت وضع فانوس أمامه ليلا .. حتى يمكن تتبع اللصوص والمجرمين بسهولة .. وإذا تعذر أمام كل دار.. فلا مانع من إشتراك كل دارين فى واحد .. يعلق بين الدارين . كما نبه على شيخ الخفر بضرورة اليقظة التامة من رجاله .. وشدد على ضرورة تشديد الحراسة على السراية .. وبيوت أقربائه وممتلكاتهم . خشية الأنتقام من العائلتين .. أو غيرهم ممن قد يفكر فى التحالف معهم . ونبه كذلك على أبنه .. بضرورة الحذر وألا يسير ليلا أو نهارا.. إلا بصحبة رجاله وأحد الخفر . أما هو نفسه فقليل الحركة .. وإن تحرك فسيحرص على أن يحيط به جمع من أهله ورجاله وأنصاره .

وعلى ذلك بدت القرية.. فى حالة توتر وقلق واستنفار تام . بل أن بعض البيوت.. كان أهلها يتناوبون فيما بينهم السهر .. مترقبين متحفزين لأى عدوان . وبدأت تحدث لقاءات بين العائلات المناوئة للعمدة فى سرية تامه.. ولا تتجاوز الفردين أو الثلاثة .. حتى لا تثير انتباه رجاله . وإن حرصوا جميعا على تهدئه الأمور .. حتى يطمئن العمدة ورجاله.. إنهم قد سلموا جميعا أمرهم إلى الله ..

وبعـدها تكـون لهـم ضـربتهم الإنتقاميـة. أمـا العـمدة مـن ناحيتـه.. فـقد حـرص عـلى ألا يصـعد الأمـور فـى الوقـت الحـالى .. ونبـه عـلى أبنـه وكـل أهلـه.. بعـدم المبـادرة بـأى شىء .. فى إنتظار ما سيفعـلونه . حتـى يكـون ردهـم عـلى مستوى الفعـل .. مع الحرص فى الوقت نفسه ..عـلى عـدم إتاحة الفرصة لهم للفعـل.. ومنعـه أن يبدأ إن أمكن ذلك .
وعلى ذلك كثرت عيون كل طرف علـى الأخر . وأصبح الجميع يخشـى مـن الحديث أمـام أى أحد مـن غـير أهلـه .. وأخذ الناس يتجنبون الجلوس فى الأمـاكن العـامة .. بالكـاد يذهبون للمسجد ويعـودون سراعـا كل إلى بيته .

ـ ٢٣ ـ

بمرور الأيام .. أخذت الحياة تعـود إلى طبيعـتها شيئا فشيئا .. وإن كان طابع الحيطة والحذر.. مـازال سائدا بين النـاس . وحـرص شيخ الخفرخلال هذه الأيـام ..عـلى أن يكون ممسكا بزمام الأموروملما بكل الأحداث أولا بـأول .
وعرف على وجه التحديد .. من قام بحادث دوار العمدة . كما عـرف بما قام به وفيق ورفاقه .. ويقومون به كل يوم . مـن إسـتقطاب أنصـار لهـم .. ومحاولـة كسـب أهل البلـدة وخاصة الشباب منهم . حقا إنه يغمض العين عـن بعـض ما يقومون به .. لكنه يعـرف ما يحدث .. وذلك أمر يختلف عما كان يحدث من قبل .
وبينمـا الأيـام تمـر مرورهـا السـريع .. خصـما مـن عمر الإنسان . وأحداث القرية .. واقفة عن التطور. وبعد صلاة عـصر .. يوم صيفى يسوده .. نسمات لطيفة نسبيا..

وقبل أن ينصرف المصلون .. يدخل عليهم أحد أقارب العمدة السابق .. ليبلغهم بوفاة شقيقه . الذى وافته المنية من دقائق . وأن الجنازة بعد صلاة المغرب . وعندما بلغ العمدة الخبر..سارع فى جمع من أفراد عائلته .. يتصدرهم عمه إبراهيم .. وأنصاره يتصدرهم عبده أبو سليمان .. وكبار العائلات الموالية له .. إلى دار الفقيد معربين عن خالص العزاء .. وقال العمدة أمام إبن الفقيد وابن العمدة السابق :

- أن الفقيد لم يكن شخصا قليل الشأن .. حتى يدفن بهذه الطريقة .. ولابد من إعداد سرادق كبير..يليق بالمتوفى وأسرته.. وتأجيل الجنازة إلى مابعد صلاة عصر الغد . وأعلن أمامهم عن إستعداده التام لتحمل كافة النفقات .

فلم يكن أمام أهل الفقيد بد من الموافقة .. وإن أصروا على أن يقوموا هم بكل التكاليف المطلوبة .. عن داير مليم على حد قول بن المرحوم..فهم والحمد لله مستورون.. ثم أن ما تركه ليس بالقليل .

وتصدر عبد الجبار .. متقبلى العزاء .. كما تقدم المشيعين مع كبار رجال القرية .. والقرى المجاورة . وأمر بإعداد الطعام فى منزله حتى يستضيف عنده على الغذاء.. من حضرمن عمد البلاد المجاورة . وأحيا الليلة قارىء شهير.. فسهرت البلدة ليلتها حتى ساعة متأخرة . وبعد ها جلس عبد الجبا ر وبعض رجاله فى البلكونة . وبعد أن إنتهت التعليقات على أحداث الليلة . مال عليه عمه إبراهيم قائلا :

- أنا ماعنتش فاهمك يا عبد الجبار !!.

- ليه يا عمى ؟.
- أنا عايز أعرف إنت عملت كده ليه ؟.
- لأسباب كتيره .. أولها علشان نعمل تغيير فى جو البلد المقفول بقاله مدة .. وكمان كانت فرصه الناس تقابل بعضها وتتكلم مع بعضها شويه. وأهم الأسباب ياعمى .. آهو يصرفوا لهم قرشين كويسين وبلاش يكتروا اللى تحت البلاطه .

فضحك عمه وهو يقول :
- آه .. من عقلك الجبار .. يا عبد الجبار.

عند ذلك سمعوا صريخا وزعيقا .. والناس تجرى نحو المنطقة التى بها أرض العمدة . أسرعوا يستطلعون الأمر.. أحس عبد الجبار بانقباض لا يعرف له سببا . وبينما العمدة ومن معه يتجهون نحو مصدر النيرأن .. حضر اليهم من يخبرهم بأن أرضه .. هى التى تشتعل فيها النيران . وهى الأرض التى أخذها من أولاد أبو العز.. والشوربجى .. على وجه التحديد .. وكانت مزروعة قمحا . ومساحتها خمسة أفدنه .

مادت الأرض من تحت قدميه .. أحس بأن خنجرا غطه فى قلبه .. بطعنة هائلة . "أرض العمدة .. تحرق.. ومحصولها على وشك الحصاد ؟!. أى أن الفاعل أراد له ألا يهنأ بما ناله منهم .. كما أنه أراد أن يرد على سم البهائم ". فهرع بتلقائية إلى موقع الحريق .. وأمر بحصد الأراضى المجاورة للأرض التى تحترق .. حتى لاتطالها النيران . فأسرع الرجال لتنفيذ ما أمر به .. وتم محاصرة النيران فى أرضه وإن لم تحترق بالكامل .

وهم عائدون .. اقترب منه وفيق وهمس له :

ـ أحرق عليهم دورهم الليلة .. قبل ما النهار يطلع وتبرد نارنا ؟.
ـ أنا عايز.. أراضى العيلتين بالكامل .. وفى عز النهار .. ساعة صلاة الضهر .

ـ ٢٤ ـ

بعد عودة العمدة .. جلس فى البلكونة .. تحيط به هيئة أركانه . وبعد قليل .. إنضم اليهم .. وفيق .. فى أول تدخل علنى .. فى صنع القرار. ساد الصمت .. لبعض الوقت .. وحيث اعتادوا ألا يتكلم أحد إلا إذا بدأ العمدة الحديث .. ونظرا لأنه كان شارد الذهن .. فقد لاذ الجمع الصغير بالصمت .

لم يكن عبد الجبار يتصور أن تتسارع الأمور بهذا الشكل .. ولا أن تصل إلى ما وصلت إليه . أن يقوم رجال من القرية التى هو عمدتها .. والمسؤول الأول عن الأمن فيها .. بحرق أرضه فى رد فعل إنتقامى ومنه هو شخصيا!.فمعنى ذلك أولا أنه فشل فى توفير الأمن لنفسه.. وثانيا فإن ذلك يجعله مضطرا للجوء إلى نفس الاسلوب أو أشد منه .. لردع مواطنين .. المفروض أنهم يعيشون فى كنفه وحماه .. فإن ذلك يعنى أنه يقول لهم .. ردوا على فعلى بنفس المستوى أو أكثر منه . مما يعنى من وجهه نظره .. أنه ينزل بنفسه من مستوى المسئول الأول عن البلدة ومن فيها .. إلى مستوى شيخ المنصر . وما يكاد يفقده صوابه.. أن يواجه بمستوى إجرامى مساو.. أن لم يكن أزيد . فإن يقتحم عرينه .. وتحرق أرضه ..

فمعـنى ذلك فى يقينـه .. أنهم يريدون أن يقولـون لـه بـالفم المليـان طـظ فيك يـا عـمدة أنت وخفرك وشيخهم كمـان .. وكل أركان السلطة فى البلد . وعندما وصل بـه عـقله إلـى هذا الحد . وجد نفسه تستقر.. وعـقله يقرر.. أنـه طالمـا بدأ اللعبة .. وقبل بها .. فما عليه إلا أن يتحمل نتائجها للنهاية وليكن ما يكون . فمن غير المعقول أن يصل به الأمر عند أى مستوى مـن الصـراع .. أن يقـف ويقـول لهـم .. طـب والنبـى كفايـه كـده وتعــالوا نتفـاهم . لأن ذلـك لـيس لـه إلا معنى واحدا .. هو يرفضه ويأباه بشدة .

وعلى ذلك إستقر رأيه علـى الاستمرار إلـى النهايـة .. ولن يتوقف إلا بعد أن يجردهم من كل قوتهم .. الأرض والبهايم .. وحرق البيوت إذا لزم الأمر. عـندما وجد نفسـه يصـل إلـى هـذا الحـد مـن التفكير.. توقـف لحظـة .. هـرش رأسـه بيمنـاه .. نظـر فـى الجالسـين حولـه ." لكـن ياعــبد الجبـار.. أيصـل بـك الأمرفـعـلا النزول إلـى هذا المستوى ؟!."

أفاق إلى نفسه .. وقـف مـن جلسته .. فـوقـف لـه كل الجالسين . عـاد للجلوس .. فـعـادوا . وبعد لحظات .. قـال لمن حوله :

ـ أيه قولكم يارجاله .. بعد ما وصل الحال إلى ما هو عـليه دلوقت ؟

ـ الحـال بقـى لايسر عـدو ولا حبيب يـا عـمده . قـال ذلـك عـمه إبـراهيم .. فـلاذ الجميـع بالصـمت مـرة ثانيـة . وعند ذلك قال وفيق :

ــ إيـه .. سـكتم ليـه ؟. ماعـدش فيهـا رجـوع .. بعـد حرق أرض العمدة .. ماعدش فيها تراجع خلاص . ولابد

مـن رد القلـم قلمـين .. ولا عـايزين عـمدة البلـد وكبيرهـا يـروح لعـندهم ويقـول لهـم خـلاص ياجماعـه حقكـم علـىّ . وهاتوا إيدكم أبوسها كمان .

فهتفوا كلهم فى نفس واحد :

ـ مين قال كده .. دى تبقى مهزلة المهازل !.

ـ طيب ساكتين ليه ؟.

ـ اللـى يقولـه العـمدة عـلـى راسـنا كلنـا . رد عـليهم وفيق :

ـ العـمدة مش هـايقول حاجـه.. وكمـان مـش مفـروض يعـرف احنا ها نعـمل إيه .وأنا بقول له دى الوقت أمـامكم.. بعـد إذنـك يابـا العـمدة..المفـروض مـا تحضـرش الجلسـه دى.. قـوم مـشى رجليك شويه لغاية ما نتفـق .

وجد عـبد الجبار.. كان إبنـه وضـع يده عـلـى الجـرح الذى يؤلمه.. فقد كان فعـلا يريد أن يكون بعـيدا عـن ذلك.. ولكنه وجد نفسه مرغما عنه وسط الجلسـة . ولهذا سـارع واقفـا وهـو يقـول فـى نفسـه " الـواد وفيـق جـاب التايهـه ". ودخل السراية .

اسـتمرت الجلسـة التـى سـادها الصـمت المـذهول لحظـات . فلم يكن يتصـور الجالسـون أن تصـل بهـم الامـور إلى أن يصبحوا هـم أصحاب القرار بالنيابة عـن العـمدة .. وخاصة فى أمر كهـذا. أو أن يكون ابن العـمدة هو صـاحب القرار نيابة عـن أبيه . ووجدها وفيـق فرصـة لحسـم الأمـر وهم هكذا مذهولون .

ـ فـيه حـل تـانى غـير اننـا نحـرق أراضـى العـيلتين بالكامل ؟ . قالوا وهم عـلى نفس حالهم من الذهول .

ـ لا .

ـ خلاص .. عداكم العيب . مالكومش انتم دخل بالتنفيذ .. وكل واحد يروح داره كما لوكان مايعرفش حاجه خالص .

لكن الشيخ إبراهيم أفاق إلى نفسه وقال :

ـ لكن يا بنى ده يبقى خراب بيوت .

ـ واللى عملوه .. يعنى مش خراب بيوت ؟. فرد شيخ الخفر :

ـ خراب .. بخراب . وانصرف الجمع كل إلى داره كما طلب وفيق .

ـ ٢٥ ـ

دخل العمدة حجرة المضيفة. طلب كوبا من الشاى. أغلق الباب عليه .. وجلس على الأريكة .. مسندا رأسه إلى الحائط كما اعتاد كلما خلا إلى نفسه . كأنما يكون فى حاجة لأن يسند رأسه إلى شىء ما . وأخذ يرتشف الشاى فى صمت.. شارد الذهن .. حتى أتى على مافى الكوب دون أن يدرك .

" كان يجب على أن أبتعد عن مثل هذه الأمور من الأول .. أن أتركها لغيرى .. وفيق .. عمى .. شيخ الخفر.. أوحتى شيخ البلد . أى واحد من دول كان يقدر يقوم بالمطلوب وأكتر .. وكنت فضلت أنا بعيد . وليه ده كله ؟. ماهو وفيق هو ورجالته اللى قايمين بالواجب .. وكنت عملت إنى ما أعرفش أى حاجه عن اللى بيحصل لا أنا ولا إبنى.هو إحنا ها يوصل بينا الحال..لدرجة إننا

نحرق أرض ؟!.. أو نسرق بيوت ولا حتى نسمم بهايم ؟!. الحاجات دى لها ناسها اللى تقوم بيها واحنا بعيد خالص."

الحق يقال أن الرجل .. كان بداخله.. شىء من الرفض لمثل هذه الأمور .. فطوال عمره لم يكن ميالا للعنف .. أو حتى أن يأخذ حقه بالقوة . أما أن يصل به الأمر لدرجة أن يأمر بسرقة أو حرق.. فهذا بعيد جدا عن شخصيته . حتى أنه كان يقول لنفسه " أمال يعنى هاسيب إيه لشيخ المنصر." لذا فقد وجد فى نفسه راحه كبيره عندما طلب منه وفيق .. ترك الاجتماع والبعد عن هذه الأمور. " ومن هنا وجاى .. ماليش دخل باللى بيحصل واللى هايحصل . وأهو شيخ البلد وشيخ الخفر موجودون . وأفوق أنا لتربية العيال .. دول بقوا خمسة فى عين العدو.. أربعة صبيان وبنت من رقيه وحدها . وآهى فرصه برضه الواد يتعود على أمور العموديه . عند هذا الحد .. انتبه فجأة . " وفيق العمدة من بعدك .. بعد العمر الطويل لك ياعبد الجبار ". أعجبته الفكرة .. أو ربما وجد قلبه يميل إليها .. فأخذ يرددها فى نفسه مرات وهو يهرش رأسه بيمناه .

" طب وفيها إيه .. يعنى مين هايكون أنسب منه للعمودية من بعدى ؟؟. إيه اللى جرالك ياعبد الجبار.. إنت ياعنى قاعد تحسبها ذى اللى هاتموت بكره . وفيها إيه ؟. هو فيه حد ضامن عمره . والله الواد مناسب ليها قوى . طب أيه قولك فى رقيه مراتك ؟ . هاتسكت وعندها أربعة صبيان ؟. بس دول لسه عيال صغيرين يا عبد الجبار. ووفيق الأولى ." عندما وصل بفكره إلى هذا الحد وجد نفسه يقول بصوت عال :

- أيه ده ياعبد الجبار .. إنت قاعد تفكر فى أيه ؟. هو ده وقته ؟. ما تخليك فى المصيبه اللى أنت فيها . توقف عقله عن التفكير.. وقف من جلسته .. أخذ يدور فى الحجرة . جلس من جديد .

- خلاص .. مافيش حل غير كده .. وفيق يتولى هذه الأمور وهو حر هو ورجالته فى اللى يعملوه.. مع الشوية العيال دول .

عند ذلك تصاعد من داخله صوت آخر :

– بس ده لسه صغير .. شاب طايش .. لأ .. لأ .. مش طايش .

– طيب ياسيدى مش طايش .. بس الشباب ميله للعنف أكتر .. لازم برضه يكون فيه لجام يلجمه عند اللزوم .

– طب .. هو أنا يعنى رحت فين ؟. ما أنا برضه موجود بس من بعيد . وكمان عمى إبراهيم وشيخ البلد موجودون .

عند ذلك وجد وفيق يدخل عليه الحجرة .. بعد انصراف من كانوا معه .

- هيه ياوفيق .. وصلتوا لايه ؟.

- ما تشغلش بالك يابا .. إبنك راجل يعتمد عليه .

- بس عايزك يابنى تتحلى بالحكمه كده .. وتتصرف بعقل .. وتعمل لكل شىء حسابه .

- ما تقلقش ياعمده .

قال ذلك وترك والده وخرج يرتب أموره مع رفاقه .

وقد اقتربت الشمس من كبد السماء .. فى يوم صيفى حـار نسـبيا.. والنـاس تتأهـب لصـلاة الظهـر. إذ بصـراخ نسـاء.. اختلط بزعـيق رجـال . والكل يجرى إلى الحقول بالناحية الشرقية للبلدة . حيث تصاعدت ألسنة النيران من أربعـة مواقـع متفرقـة والـدخان يتصاعـد إلـى الأفـق . خـرج العـمدة محـاط بمـن حضـر مـن رجالـه .. تبعـه بعـد لحظات ..وفيق محاط بحشد من رجاله .. والكل متجه إلى مكـان الحريـق وعـلامات الأسـى تكسو الوجوه . وعـندما وصلوا إلـى موقـع الحرائق كانـت النيران قـد أتـت عـلى أعـواد القمح .. بالمواقع الأربعة . والتى تصل مساحة كل قـطعـة منها إلى فـدانين . فقد جرت النيران فـى الحقول .. لحرارة الجو من ناحية ولجفاف العيدان لقرب الحصاد من ناحية أخرى . وعلى ذلك فقد تلاقى ركب العمدة الذاهب.. مع ركب الرجال الذين قد سبقوا إلى المكان وفى طريقهم للعودة بعـد إنتهاء الحريق . وأن بقى أصحاب الأراضى المجـاورة للتـى إحترقـت .. وخشـية عـلى محصـولهم .. أخذوا فـى حصـاده بدايـة من المنـاطق المجـاورة للأراضـى التى احترقت. توقف العـمدة وركبه مـع بعـض العائدين.. يسألهم عـما حدث كما لو كان لايعلم شيئا .

ـ أرض مين يارجاله ؟.

ـ أراضى أبو العـز والشوربجى .

ـ اتحرقـت .. لاحول ولا قـوة الا بالله .

ـ عـليه العـوض ومنه العـوض .

هكذا ردد شيخ البلد .. بعـده .

توقف الجمع لحظات .. فلحق بهم ركب وفيق ومن معه .. فازداد الجمع كثافة . وأخذ البعض منهم يحكى عما بذلوه من جهد فى محاولة إطفاء النيران . إلا أنها كانت أسرع من أى جهد لوقفها . والبعض الأخر يتسائل :

- وآخرة اللى بيحصل ده أيه يا ناس ؟.

- الخراب للجميع .

- هى الناس ناقصه ؟.

عند ذلك وجه شيخ الخفر حديثه للعمدة .

- إرجع إنت بقى ياحضرة العمدة .. وأنا هاروح أعاين مكان الحريق .. وأشوف أن كانوا هايقدموا بلاغات ولا لأ .

- ماشى ياشيخ الخفر.

وعاد الجمع .. حتى اذا وصل العمدة ومن معه إلى السراية .. وبعد لحظات صمت .. قال إمام المسجد :

- عم الخراب فى البلد .

- من قلة عقول الناس .. هو فيه حد برضه ينتقم من ابن بلده بسم بهايمه وحرق أرضه .

هكذا بادر الشيخ إبراهيم .. إمام القرية .

- ده كفر والعياذ بالله .. ده حتى الكفره مابيعملوش كده فى بعض . هكذا أكد الإمام .. ثم أكمل :

- وبعدين ياحضرة العمدة وكبيرها ؟.. العمل أيه ؟.

- العمل عمل ربنا يامولانا .. أنا بس بايدى إيه أعمله وأنا أعمله ؟!. إللى يعرف مين اللى عمل كده .. يقول . وإن كنت أتأخر عن القيام بواجبى .. يبقى لكم الحق وللبلد كلها الحق تعملوا فىّ اللى أنتم عايزينه .

ـ لاسمح الله ياعمده .. هو فيه حد قال فى حقك أى حاجه . ينقطع لسان اللى يقول فى حقك نصف كلمه .. وحتى قبل ما يقولها .

ـ أيوه يا سيدى .. بعد سم البهايم . اتهمونى كده بالمتغطى إنى أنا اللى وراها .. أمال اتحرقت أرضى ليه يامولانا . وزمانهم دى الوقت .. بيتهمونى برضه بالمتغطى إننى اللى ورا حرق الأرض النهارده.. إنتقاما من حرق أرضى..خلينا نتكلم على المكشوف يا مولانا .

ـ لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .. ده إنت معروف طول عمرك.. بنظافة اليد .. وطيبة القلب .. وأنا شاهد على ذلك والله على ما أقول شهيد .

ـ تقول أيه بقى يا مولانا ؟.

ـ يقول أيه .. هو والاغيره .. هو فيه عمده بيحرق أراضى ولا بيسم بهايم .. يبقى عمده إزاى وهو مسئول أصلا عن سلامة الناس وأراضيهم وبهايمهم . قال ذلك الشيخ إبراهيم .

ـ لا ياعمده لا .. مالكش حق .ينقطع لسان كل من لسن عليك بكلمه . قال ذلك شيخ البلد . فوافقه كل الجالسين .. وتعالت صيحات الموافقه والاستنكار على الإتهام .

ـ عموما كل واحد منه لله .. هو المطلع على القلوب وخفايا النفوس . قال العمدة ذلك حسما للنقاش وإنهاء للجدل وترفعا .

ساد الصمت بعدها لحظات .. إستأذن بعدها الإمام منصرفا .. وتلاه الجمع فرادا .. حتى إذا وجد العمدة نفسه وحده .. نظر إلى الجهه المقابلة حيث إعتاد وفيق

الجلوس. فوجده قد خلع الطاقية التى تعود وضعها على رأسه .. وأخذ يهرش فيها وعلامات الرضى تكسو وجهه . أسند رأسه إلى الحائط خلفه .. أغمض عينيه .

" وبعدها يا عبد الجبار .. الناس دى هاتعيش ازاى؟.. وتاكل منين ؟. دول شويه الغلة اللى بيستنوهم من السنه للسنه واتحرقوا . طيب الناس دى هاتعمل إيه ؟. ومين اللى قال لهم يحرقوا أرضى ؟. أيه ياعبد الجبار؟. إمتدت يده اليمنى بتلقائيه .. تهرش رأسه . التفت إلى وفيق وناداه .. حتى إذا جلس بجانبه .. قال :

- وبعدين ياوفيق .. الناس دى هاتعيش إزاى ؟.

- زى ما غيرهم عايشين .

– أقصد يعنى بعد حرق غلتهم ..هايكلوا منين يابنى؟.

- يابا .. هو فيه حد بيموت من الجوع ؟. يشتغلوا .. ياسيدى أنا موافق ييجوا يشتغلوافى أرضنا .. ولا أقول لك.. يبيعو الأرض .. مادام هما ما عدش حيلتهم حاجه .. ونبقى نتوصى بيهم شويه فى التمن .

- يخرب عقلك ياوفيق .. ده إنت شيطان ياوله .

- ليه يابا العمده .

- تقصد يعنى أن حرق الأرض يخليهم يبيعو أرضهم .

- إمال يعنى هايعملوا أيه ؟.

- وأن عاندوا ومارضوش يبعوها لنا .

- ومين ساعتها اللى ها يجرؤ أنه يقرب منها .

- إزاى يعنى ؟.

- سيب الموضوع ده على .

ضرب العمده كفا بكف وقال :
- ده أنا عمرى ما فكرت كده .
فقال وفيق وهو يضحك ملىء فيه .
- وانت تفكر ليه .. وتتعب نفسك وأنا موجود ؟!.
سيب التفكير والتدبير ليا أنا .
نظر عبد الجبار لإبنه وهو يقول فى نفسه :
- ياويلك يا بلد .. من وفيق إبنى .
وقام من مجلسه .

– ٢٧ –

سرعان ما انتشر فى البلدة .. الحوار الذى دار بين العمدة والإمام .. وأخذ الناس يتداولونه فى مجالسهم .. ومنهم من قالها واضحة :

- وهومين يعنى له مصلحه فى كده غير العمدة ورجالته ؟!.

ومنهم من استبعد أن يكون للعمدة يد فيما حدث .. وإنما الذى وراء هذه الأفعال إبنه وفيق .. ومن حوله من الشباب والرجال . فالعمدة طوال عمره ومن أيام أن كان شيخا للبلد وهو معروف عنه نظافة اليد .. والطيبة . ولم يسمع أحد من أهل البلد يوما عنه أى شىء يسىء إلى شخصه كعمدة . كما أن الرجال المحيطين به هم كبار رجال البلد وكبار عائلاتها .. ومن المستحيل على أى منهم أن يقترف مثل هذه الأعمال من أجل خاطر العمدة أوغيره . إنما الذى يمكنه فعل ذلك .. ولديه القدرة عليه فعلا .. هو إبنه وفيق . فمنذ بلوغه سن الشباب وسيرته

بطاله مع بنات ونساء القرية . مما جعل العمدة يسارع فى تزويجه . إلا أن سيرته مازالت على كل لسان .. وإن كان فى مجال آخر . حيث انتشرت سرقة البهائم من الحقول ليلا..وهى دائره فى السواقى ..أو وهى ذاهبه أو عائده من الحقول .

حيث يخرج عليهم من بين الأشجار أو من بين عيدان الذره .. من يرفع فى وجه الفرد منهم سلاحه .. ويطلب منه ترك البهيمة والنفاذ بجلده .. فيتركها ويعود إلى داره جريا . ويوم أن وقف أحد الشبان لهم يوما.. متحديا .. خرج عليه أكثر من عشرة رجال .. وقاموا بربطه بالحبال على ساق إحدى الأشجار .. وانهالوا عليه ضربا .. وتركوه مربوطا حتى الصباح .. بعد أن جردوه من كل ملابسه .

كما انتشر فى القرية .. سرقة أجولة الأرز .. والقمح. التى يقومون بتخزينها فى بيوتهم للاستهلاك منها حتى المحصول القادم. بالإضافة لسرقه الطيور من أمام الدور. كل ذلك أرجعه أهل البلدة إلى رجال وفيق الذين يتمتعون بحمايته . ولم يجرؤ أحد أن يفتح فمه ليقول للعمدة أو حتى شيخ البلد . فالكل يتحمل صامتا خشية من أن تزداد الأمور سوءا .. ويحمد ربنا على ماهو فيه . ومن الناس من يؤكد أن ما يتم بعلمه وتخطيطه .. لبث الرعب بين أهل البلد . وربما نسبت اليه أعمال لم يقم بها رجاله .. لكن أهل البلده تعودوا أن ينسبوا له كل مايحدث .. وبينه وبين نفسه كان يسعده ذلك .. وكان يقول لمن حوله من أتباعه :

- أحسن .. علشان يزداد خوفهم منى أكتر وأكتر .

أما العمدة فلم يكن يصدق .. أن يكون وفيق وراء كل ما يحدث فى البلد .. ويبلغه به رجاله . وكان يقول لنفسه :

- إمال فين الحراميه اللى كانوا فى البلد .. ولا كلهم بقوا من رجالة وفيق ؟!.

_ ٢٨ _

وصل إلى مسامع العمدة وابنه .. أن البعض من جيران عائلتى أبو العز والشوربجى .. وأقاربهم قاموا فى الخفاء .. بإمدادهم بالقمح والأرز اللازم لإستهلاكهم طوال العام . فوجد ذلك الأمر صدى طيبا فى نفس العمدة . أما وفيق فقد اغتاظ منه وهدد وتوعد بينه وبين نفسه .. كل من يعرف أنه قام بذلك من غير الأقارب والجيران . فهم فقط المسموح لهم بذلك أما ماعداهم فلا يجب أن يقوموا بإمداد خصومه بما يلزمهم .. وإلا يعتبر ذلك تحديا شخصيا منهم له . ولأن الكل فى البلده يعرف من هو وفيق .. ويده الطويله . فإن تحديه ليس بالأمر الهين على أى فرد . ولا يمكن أن يفكر فيه . وخاصة بعد أن سرى بين الناس أن العمدة ترك مسئولية العمودية له . وعلى ذلك تهافت كل صغير شأن .. يريد أن يكون له شأن فى التقرب منه ووضع نفسه تحت تصرفه .. بل والتبارى فى إرضائه ونيل شرف القرب منه . وأصبح كل شىء عنده بثمنه .. لأن معنى أن تكون كذلك .. أن تتمتع بالحماية التى يسبغها على رجاله .

وفـى سـهرة أعدها لـه أحد خلصـائه .. وبعـد عـشاء يتناسب ومقامه .. وبينما يحتسيان الشاى مال عليه مضيفه وقال :

ـ أنت ماسمعتش عن الجرارت الزراعيه ؟!.

ـ لأ .. أيه دى .

ـ آله تحرت وتروى .. بدل البهايم .. وكمان لو جبنا لها مقطوره تحمل عليها اللى إنت عاوزه .

ـ شفتها ؟.

ـ سمعـت عـنها الأول .. وبعـدين وأنـا فـى البنـدر الأسبوع اللى فات .. شفتها فى معرض .

ـ ودى بكام .. الواحد ؟.

ـ يدوب كده .. تمن فدأن أرض .

ـ مش غـاليه ؟.

ـ لأ .. ده لو إحنا جبنا واحد وأجرناه للناس .. فى الحرت والدراس والرى .. شوف بقى إنت .. طول السنه بيشتغل .. لايكل ولا يمل .

وأكمل أحد الجالسين :

ـ ولا لبنها يقل .. ولا تقع وتندبح .

ـ وكمان ماكينة ميه .. وتبقى العملية كملت .

لاذ وفـيق بالصـمت لحظـات .. يقلـب الأمـر عـلى جميع جوانبه .. ثم سأل :

ـ ودى تتأجر إزاى؟.بالساعه ولا باليوم ولابالفدأن؟.

ـ سـألت .. قـالوا لـى بالسـاعه فـى الـدراس والـرى وبالفدأن فى الحرت .

ـ والله كويس .. طيب بتشتغل بأيه ؟.

ـ بالسولار .

ـ وده هانجيبه منين ؟.
ـ اللى بيتاجر فى الجاز.. يجيب معاه السولار .
ـ طيب .. وأنت كصاحب الفكره .. عايز من وراها أيه ؟.
ـ يعنى كلك نظر يا وفيق بيه .
ـ من الصبح نطلع عالبندر .. ونجيب الجرار وماكينه الميه .. والمقطوره كمان .. وإنت اللى هاتتولى الإشراف على الجرار ..وتكون المسئول عنه وعن إيراده قدامى .. وتشوف له سواق كويس . ونظر إلى الجليس الثانى وقال :
ـ وأنت تكون مسئول عن ماكينه الميه وإيرادها قدامى . بس لازم ناخد رأى العمده الأول .. وعلشان كده أنا هاقوم ألحقه قبل ما ينام وآجى لكم تانى نكمل السهرة. وتركهم مسرعا .. ليجد والده جالسا بالبلكونه ومعه عمه إبراهيم . فالقى عليهم السلام وجلس بجوار والده .. الذى سكت عن حديثه ونظر اليه مستفسرا .
ـ خير .. أيه اللى جابك بدرى كده ؟.
ـ فيه موضوع كده عايز آخد رأيك فيه .
ـ خير أن شاء الله .
عرض عليه وفيق الفكرة وأكمل :
ـ وأنا شايف إننا لو جبناهم قبل ما حد تانى فى البلد يجيبهم .. هاتبقى مصالح البلد كلها فى ايدنا .. وكمان ها يكون المكسب مضمون .
صمت العمدة مذهولاً لحظات .. هو وعمه . فلم يكن يخطر على بالهم مثل هذا الأمر . حقا ربما يكون قد سمع عن هذه الآلات من قبل .. لكن أن يفكر فى شرائها وإستخدامها أو تأجيرها فلم يكن يخطر له على بال .

- والله يابنى دى فكره مش بطاله .
- خلاص على بركة الله .. أنا من صباحية ربنا هاكون فى البندر .. ومعايا ناس تفهم فى الموضوع ده .. وعلى الضهر بمشيئة ربنا هاتلاقينا ومعانا المطلوب .
- ومستعجل ليه كده ؟.
- خير البر عاجله .
- طب عايز فلوس ؟.
- خيرك موجود .
وانصرف مسرعاً ليكمل سهرته .
مال العمدة على عمه قائلا :
- الواد مخه نضيف .. ياعم إبراهيم .
- ربنا يبارك لك فيه .

- ٢٩ -

لم تكن رقيه .. غافلة عما يقوم به وفيق .. وعما وصل اليه من سطوة فى البلده . وكانت تطوى ما فى نفسها .. معللة ذلك بأن أولادها مازالوا صغارا .. فأكبرهم لم يتجاوز الثانية عشر من عمره . كما أن الأمور لاتعدوا أن تكون تصرفات فرديه .. لم يترتب عليها شيئا جديا .. كان يقوم العمدة مثلا بكتابة أرض باسمه أو ماشابه ذلك . ومع ذلك .. الأمر لم يخلو.. من بعض التلميحات منها للعمدة بين حين وآخر . وخاصة عندما يصلها أمر من أمور وفيق . إلا أن العمدة كان حاسما معها فى كل مرة أثارت فيها هذا الموضوع قائلا لها وبكل وضوح :

ــ بقــول لـك أيــه .. كلهـم أولادى .. وبـلاش تفتحــى الموضـوع ده أمـام أى حـد . خللــى الأولاد يطلعــوا يحبـو بعضهم .. ووفـيق أخوهم الكبير ومـالوش بركـه إلا همـا . ثم أنـى مـاميزتش وفـيق عـن أى واحد مـنهم فـى حاجـه .. وأن شـاء الله بعـد عــمر طويـل كـل واحـد ياخـد نصـيبه الشرعى . وإياكى تفتحى الموضوع ده تانى .

إلا أنهـا لـم تطـق نفسـها .. وكـان النـار ولعـت فـى جسدها.. علـى حد تعبيرها هى لأبيها ليلـة وصـول الجرار ومسـتلزماته . وخاصـة بعـدما تقصـت وعـرفت أن الـذى سـيدير أمورهـا وفـيق . واعـتكفت فـى حجرتهـا وأغـلقت عــليها البــاب مــن الـداخل .. وتربعــت عــلى السـرير .. وإرتكزت بكوعـيها عـلى ركبتيهـا وبكفيهـا عـلى خديها . وقد ربطت رأسها بوشاح أسود . وأخذت رأسها تدور :

ــ بكره القرش يجرى فـى إيده .. بكره إيـه . ده مـن زمـان والقـرش فـى إيـده .. مـش هـو اللـى بيزرع الأرض وبيصـرف عـليها .. وهـو اللـى بيبيـع المحصـول كـل مـره وبيقبض حقه فى إيده . الله أعـلم بيعـطى لأبوه أيـه وبياخد أيــه لنفســه. وكمــان عــايش فــى البلـد بـالطول والعــرض ومراتـه لابسـه دهب لغايـة كيعانهـا الإتنـين .. منـين ده كلـه يابت يارقـية ؟. وآخرة المتمـه يجيب جرار وماكينـة الميـه والمقطوره بالشىء الفلانى .. عـلشان يبرطع فى البلد كمان وكمـان . وبكره هو اللـى يصـرف عـلى البيت .. وجـوزك قاعد كده زى شرابة الخرج . مـاهو كبر ومـا عـدش قـادر عـلى حاجه .. وبكره كمان العيال يمدوا إيدهم لـه ويقـولوا له هات يابا وفـيق المصروف . تبقى القيامه قامت يابت يـا رقية .

وأرسلت لأبيها خفية .. فوافاها علـى عـجل وأدخلته الحجرة وأعادت غلق الباب خلفهما . وأفضت اليه بكل ما يساورها من شكوك ومخاوف .. وما يدور فـى رأسها من أفكار . فاستمع الرجل إليها بصبر حتى إذا إنتهت من كل ما عندها قال:

- إسمعى يابنت الناس .. ممكن يكون اللى بيدور فى دماغك ده كله صحيح .. وممكن يكون عندك حق فى اللى أنت قولتيه كله . لكن يابنتى عايزك تكونى حكيمه . وتطوى عليه قلبك وما يطلعش لحد..حتى لجوزك .ليه؟.. علشان مافيش فى إيدك حاجه تعمليها .. وكمان ماحدش فى البلد النهارده عاد يقدر على وفيق.. حتى أبوه نفسه . ها تيجى إنت تقفى قدامه ؟. وكمان العمده فى الأول والآخر عمره ماها يرضيه يظلم حد من ولاده ولا يدى حد أكتر من التانى . وحتى يعنى لو حصل وانظلم حد ..وده مش هايحصل أبدا وأنا عارف عبد الجبار كويس ومتأكد أنه عمره ما يعملها . فالخير كتير .. يكفى الأولاد كلهم ويفيض . ما تخليش الشيطان يلعب فى عبك ويخرب عليكى إنت وعيالك .

- يعنى إنت يابا شايف كده ؟. قالت ذلك بعد أن اقتنعت بمنطق أبيها .. والتى تعرف طريقة تفكيره جيدا.

- أيوه أنا شايف كده.. واكفى خيرك شرك .. وإقفلى الموضوع ده خالص .. وطلعيه من دماغك . وتركها وخرج كما عاد .

فقامت وبدلت ثيابها .. وهيأت نفسها وخرجت لتجلس مع الجالسين فى صحن الدار يعبرون عن فرحتهم بما أحضره وفيق من البندر .

أراد أنصار وفيق ورجاله الإحتفال بالجرار ومشتملاته إحتفالا كبيرا .. بأن يقطروا الماكينة بالجرار ويدورون بهما حول البلدة . إعلانا بالسبق .. واحتفالا بما إعتبروه نصرا لهم على خصومهم . إلا أن العمدة إستهانة منه بخصومه من ناحيه ومن ناحية اخرى فهو يرى أن الفرحة فى القلب ولا تحتاج إلى طبل وزمر . وعلى ذلك أمر بألا يتجاوز الإحتفال الجرن والأرض الخلاء حول الدوار . حتى إذا أرخى الليل أسدله .. وبدأ الظلام يحتضن البلدة .. ويحتويها بين طياته .. طلب العمدة من سائق الجرار .. ركنه بجوار السراية مع مشتملاته حتى يكونوا ضمن ما يحرسه خفيره الخصوصى .. حتى يتم بناء جراج خاص لهم . وقررت جماعة وفيق .. السهر هذه الليلة بجوارهم حتى الصباح .. ليس خوفا من السرقة .. وإنما إستمرارا للإحتفال.ولأن العمدة أمر بأن يخرجوا مع إشراقة شمس الغد لرى أرضه القبلية . تمهيدا لشتل الأرز وإعادة غرسه فى الأرض المروية .

وجلس العمدة فى مكانه المعتاد محاطا برجاله وأنصاره .. الذين هلوا على مجلسه للمباركة وإعلان الفرحة .. حتى إذا إنتهى السمر .. وبدأ الرجال فى الإنصراف .. ولما وجد عبد الجبار نفسه أخيرا وحده .. أسند رأسه للحائط خلفه .. هرشها أسفل الطاقية ..أغمض عينيه .

" والله ياعبد الجبار .. فكرة الواد وفيق جات فى محلها تمام .. وعلى كده الجرار يقوم باللى كانت بتقوم به البهايم .. ونخليها للتربيه ..أقله تلحم كده ولبنها يزيد .. يعنى الخير جاى من وراها من جميع النواحى ". وعلى ذلك وجد بداخله ميلا واضحا لمسا لمة خصومه .. وما عدش فيه داعى بقى للعداوة .. وندور على اللى ورانا . هو يعنى آخرة السكه دى أيه؟. الخراب لهم .. قبل مايكون ليا . فأنا العمدة واللى معايا مهما كان برضه أكتر من اللى معاهم . ياريت ربنا يهديهم ويبطلوا اللعبه دى معايا. عندما وصل إلى هذا الحد .. طرأت عليه فكرة :

- فيها أيه ياواد ياعبده إما تعملها وتبين حسن نيتك ناحيتهم .. وتخللى وفيق يحرت لهم أرضهم ويرويها المره دى مجانا .. كمساعده لهم . لكن إفرض فهموك غلط ؟. وإنى خايف إنهم ينتقموا لحرق أرضهم . خايف .. خايف من أيه ؟. ده أنا برضه العمده . وهخاف منهم ليه .. وبأمارة أيه إن شاء الله ؟". وقف من جلسته ..وأخذ يتحرك فى البلكونه .

"وإفرض رفضوا الموضوع ده من أصله .. ألا يكون فيها إحراج لك ؟.. وإحراجها أيه ؟. أقل مافيها البلد هاتقول :

- العمدة بقلبه الكبيرمد لهم يد المساعده وهما اللى رفضوا. بعدها يبقى أكبرمافى خيلهم يركبوه. ويستاهلوااللى يجرى لهم بعد كده ".

بدا لعبد الجبار أن مادار فى رأسه .. يستحق محاولة تنفيذه . وإستهوته المحاولة .. فإتجه للناحية التى يجلس بها

وفـيق ورجالـه ونـادى عـليه .. حتـى إذا وقـف قبالتـه .. عـرض عـليه ما دار فى رأسه :

ـ والله يابا .. كلامك معقول وما فيهش حاجه غـلط.. بس ولاد بلدنا مش هما اللى هـايفهموا الكلام ده . سـاعة مـا تمد لهم إيدك .. ها يقولوا .. شوفوا العمدة أهو بيعـترف إنه هو اللـى عـمل فينا اللى إتعـمل كله .. وجاى فـى الآخـر قـال أيـه يمـد لنـا يـد المساعـده .. وساعـتها هـا يتخنـوا رقـابيهم ويلاقـوا اللـى يسمع لهم .. ويقـول لهم والله إنتم معـاكم حق.

ـ يابنـى .. فى كل الأحوال إحنا مش خسرانين حاجه .

ــ هاقـولك عـلـى حاجـه .. أيـه رأيـك .. إحنـا نسـيب الأمور كده بطبيعـتها .. ومش هانمد إيدينا عـليهم تـانى .. حتى ياسيدى لو عـملوا همـا حاجـه.. يبردوابهـا نـارهم . إلا لـو كانـت حاجـه كبيره تجبرنـا عـلـى الرد . وأمـا موضـوع الحـرت والـرى .. فـوالله أن همـا طلبونـا فـى حاجـه نـروح ونعــمل الـلا زم .. وساعــتها نقـول لهـم .. دى عــربون المحبـه .. أو أى حاجـه عـايز تقولهـا . تبقـى كـده الأمـور ماشيه صح .. وإحنا حافظين كرامتنا . أيه قولك فى كلامـى ده ؟.

ــ والله يـابنى كلامـك كـده كـويس .. خـلاص عـلـى البركه . ذى ماإتفقنا .

وهكـذا أحـس عـبد الجبـار أنـه أرضـى الهـاتف الداخلى.. الذى يجنح بـه إلـى المهادنـة والسلم . واتجـه إلـى الداخل .. وعـاد وفيق إلى رفاقه .

جـافى النـوم عـبد الجبـار.. أخـذ يتقلب فـى الفـراش عـلى جانبيـه . وعـندما أدرك أن النوم قـد عـانده . نهض مـن فراشـه بجلبـاب النـوم .. حتـى اذا بلـغ مكـان جلوسـه المعتاد بالبلكونة .. جلس . إلا أنه خطر بباله أن يتفقد خفير الـدرك .. المعـين لحراسـة السـراية .. فتحـرك بحـرص .. حتى إذا وجده يتحرك ذهابا وإيابا حول السراية .. عـاد إلى مكانه .

لم يعد يدرك سببا مباشرا لمجافاة النوم له .. بالرغـم مـن حرصـه الدائم عـلى أن يـأوى إلـى فراشـه فـى موعـد ثابت .. هو منتصف الليل . عـلى أن يستيقـظ قبل شروق الشمس .. حتى يلحق بصـلاة الصبح حاضـرا .اعـتدل فـى جلسته .. وضع ساقا عـلى ساق .

منذ أرسل صغـاره إلى كتاب القرية وهو بين الحين والحين .. يسأل عـنهم وعـن مستوى حفظهم لكتـاب الله .. ودائما مـا يكيل لهم شيخ الكتـاب المديح .. إلا أنـه فـى يوم سأله بشكل عـارض :

ـ هو أنت مش ناوى توديهم المدارس ولا أيه ياجنـاب العمدة ؟

لم يجب عليه ساعتها لأنـه فـى حقيقـة الأمر لم يكن قد فكر فى هذا الأمر من قبل . فلم يخطر ببالـه أن يرسل أولاده إلى مدارس فى البندر . وكان ينوى أن يترك الأمور تجرى كما جرت معـه ومع أخيهم وفـيق مـن قبلهم . إلا أن سؤال شيخ الكتاب أثار كوامن شجنه .. فكم حلم بـأن يكون

له إبن إماما للقرية مثلا .. وبعد أن أصبح عمده .. كم حلم بأن يكون له إبن ظابط شرطه .. حتى يكبر ويكون مأمور مركز كده والدنيا تتهز له .. وهو داخل وخارج .. ويقف أمامه الجميع بكل إحترام .

إستيقظ من أحلامه على سؤال طرأ على ذهنه :

ـ وأيه المانع ؟!.. الفلوس.. وكتيروالحمد لله . لكن إزاى العيال الصغيره دى هاتعيش فى البندر لوحدها ؟. ومن سيعد لها الطعام ويراعيها .. ويقول لهم ذاكروا دروسكم ؟. ماهم صغاربرضك ولازم حد يراعيهم . عند ذلك وجد سؤالا يطرأ على ذهنه :

ـ وفيها أيه إما تروح رقية مع ولادها ؟.. وآهى أم هاشم موجوده وشايله الدار مع مرات وفيق . وحتى لو مافيش حد .. هو يعنى هانموت من الجوع .. كفايه قوى مرات وفيق تعمل لنا اللقمه أنا وجوزها .. وتغسلى هدومى مع هدومه . وآهو الشغالين فى البيت كتير بيساعدوها . خلاص ياعبد الجبار .. من بكره تبعت وفيق يشوف لاخواته شقة فى البندر ولا حتى بيت صغيرنشتريه لنا .. بدل ما كل سنه يتنقلوا من بيت لبيت . وبكره ولاد وفيق يحصلوهم من صغرهم . ومهما كان المستقبل للتعليم برضه .. وكمان عيشه البندر أحسن لهم.. أقله يبعدوا عن البلد ومشاكلها .. ويتربوا كويس .

إستقر قراره على ذلك .. وكما لو كان هذا الأمر كان السبب فى مجافاة النوم له .. نهض متجها إلى فراشه..وبينما هو يخطو للداخل شاهد وفيق عائدا من الخارج .

ـ أيه اللى مصحيك لغاية دللوقت يابا ؟!.

ـ تعالى كنت عايزك .

وعادا لمجلسه السابق . وسرد عليه كل ما فكر فيه قبل حضوره .. وما إستقر عليه رأيه. ولشد ما كانت سعادته بالغة .. عندما وجد الترحيب الشديد منه . وموافقته له على شراء البيت .. آهو يكون ذى إستراحه لهم فى البندر .. كلما أراد أى منهم تغيير جو .. يقعد له يومين هناك ويرجع . وياعالم بكره يحصل أيه .

ـ ٣٢ ـ

قبل صلاة الظهر.. كان وفيق قد عاد من المدينة .. وجلس مع والده يحكى له عما فعله .

ـ عن طريق واحد من السماسرة .. توصلت لبيت من دورين .. كل دور شقتين .. والواحده تلات مطارح .. برحين وكويسين .. ومنافعهم . وقريب من المدارس والسوق . وتمنه معقول قوى ..وفى الإمكان دفعه مره واحده . ودفعت مبلغ عربون.. وإتفقت مع صاحبه بأننا هانفوت عليه بكره .. نخلص فيه .

ـ وليه ما خلصتش فيه ؟.

ـ ما هو لازم نكتب عقد .. ونسجله فى الشهر العقارى .. وعلشان كده لازم تكون معانا بكره .

ـ وما عملتش ليه العقد بإسمك وخلصت ؟.. أبوك ماعدش حمل سفر .

ـ طول ما حسك فى الدنيا .. كل شىء لازم يكون باسمك يابا .

ثمن عبد الجبار لإبنه هذا الموقف عاليا . وفى نفس الوقت تيقن من أن إبنه غير طامع فى أى من حقوق أخوته .أو قل إنه أعلن ذلك على الأقل . وكان قد أخبر زوجته رقيه بما إتفق عليه مع وفيق .. أثناء تناوله الشاى بعد الإفطار .. وهما جالسان معا .. وطلب منها أن تهىء نفسها للإقامه مع الأولاد إعتبارا من بداية العام الدراسى.

- هو أنا فيه حيل للشغل وحملأن هم العيال ؟.

- أيه .. ده إنت لسه بنت سبعـ تاشر يابت .

- لأ .. لأ .. ما عنتش أقدر على كده .

- خلا ص .. إبقى خدى واحده من الشغالين معاكى .

- وليه ماتروحش مرات وفيق .. لسه صغيره وتقدر على الخدمه ؟!. وولادها ها يكونوا هناك .

ـــ أنا مش عايز النغمه دى .. ولادها ولادك .. وولادك ولادها .. سامعه يا بنت عبده أبو سليمان ؟.

ـ أنا ما بقولش حاجه .. بس إزاى أسيبك المده دى كلها ؟.

ـ طيب ياختى خشى على بدور حنيه .. نخلى مرات وفيق تروح شهر وإنت شهر .. ولا أسبوع وإنت أسبوع . وإنتم اللى تتفقوا مع بعض .. ومش عايز مشاكل.. سامعه .

- ماشى ياعمده .

وعلى ذلك رافق وفيق فى اليوم التالى .. وأتم الإجراءات المطلوبه . وبعد عودته .. وهو فى حجرته يبدل ثيابه .. دخلت عليه رقية .

- مبروك ياعمده .. وعقبال العمارات .

- الله يبارك فيكى .

وعندما لاحظ الحيرة مرتسمه على وجهها .. أدرك بينه وبين نفسه إنها تريد أن تعرف .. بإسم من سجل البيت ؟. فمد يده وأخرج لها العقد من جيب الصديرى .. وهو يقول :

- العقد أهو .. خدى عينيه فى الدولاب . والمفتاح أهو .. بإسمى يارقية .. واخده بالك .. بإسمى .. مش بإسم وفيق . فإرتسمت على وجهها إبتسامة واسعه .. وتبددت ملامح الحيرة .. وقالت :

- ياخويا البركه فيك .. وتعيش لنا .. ويطول ربنا فى عمرك .

- ٣٣ -

استقر الأمر فى البلدة .. وصارت مقاليدها كلها تقريبا فى يد وفيق . ولم يطلب أحد من عائلتى أبو العز والشوربجى .. تأجير وابور الحرث أوماكينة المياه . وإنما كانوا يعتمدون فى ذلك على مالديهم من بهائم .. ورجال . وبمرور الأيام استطاعوا .. بمعاونة الجيران واعتمادهم على أنفسهم .. أن يقفوا على أرجلهم من جديد . وأن كانوا تجاوزوا مرحلة العداء مع العمدة .. إلا أن ما فعله بهم يمثل جرحا عميق الأغوار فى صدر كل منهم .. تركوه للزمن .

وهكذا سلس قياد البلد .. للعمدة و إبنه .. وجرى الخير بين أيديهم .. إلا أن حال البلدة بشكل عام يسير من سيء إلى أسوأ . فمن يسير فى ركب العمدة وإبنه .. عليه أن يرضى بما يرمونه به من فتات .. وإلا عليه أن ينضم

إلى العامه من أهل البلد .. ويقنع بما يجده أن وجد شيئا . فقد يجد طعاماً ليوم ولا يجد للآخر . وكان وفيق لايمانع فى تأجير وابور الحرث أو ماكينة المياه لأى فرد من البلدة.. سواء معه أو لم يكن معه المال المطلوب .. وفى هذه الحالة ما عليه الا أن يوقع على ايصال أمانة .. ويمهله حتى جنى المحصول .. فإن قدر على السداد كان بها.. وأن لم يقدرفلا مانع أن يتحمل للمرة الثانية .. حتى إذا تراكمت عليه الديون .. عندئذ يتشدد وفيق فى مطالبته بسداد الدين بحجه إنه من سنين وهو صابر .. وآخرة الصبر أيه ؟. وعلى أنصار وفيق الباقى . حيث يتولون الضغط على المدين .. حتى يبيع له الأرض.. أو الماشية التى يملكها . وبذلك أصبح وفيق بمرور السنين .. صاحب الكلمة والمالك للكثير من أراضى البلدة .

ـ ٣٤ ـ

بعد عقدين من السنين .. جاوز عبد الجبار السبعين من عمره . وإعتلت صحته .. وأصبح لايغادر الفراش إلا إلى البلكونة ولايغادرهاالا إلى الفراش . وقارب وفيق النصف قرن . كما كبر إخوته الذين كانوا يتعلمون فى المدينة .. وأنهوا تعليمهم :. وأصبح من بينهم الضابط والمهندس والمدرس والمحاسب.. وكلهم يعملون فى البندر . أما أبناء وفيق .. فلم يوفقوا فى تعليمهم .. وعادوا إلى القرية ثلاثتهم .. وأفضل من فيهم حاصل على دبلوم من مدرسه الزراعه الثانويه .. وأنعم عليه والده بلقب .. الباشمهندس . رافعا

من شأنه بين أهل البلدة . ومن حرص العمدة على حقوق أولاده .. طلب من وفيق أن يبنى لكل منهم بيتا مستقلا فى الأرض الفضاء بالقرب من السراية . حتى يكون لكل منهم مكان ينزل فيه هو وأسرته عند قدومه للقرية . وخاصة أن السراية أصبحت تعج بمن فيها .. وفيق وأولاده .. الذين تزوجوا ..وأنجبوا . كما أنه كان يفكر فى أن تكون السراية مقرا دائما للعمودية . والذى يزمع أن يورثها لوفيق . وخاصة أنه لم يعد له فيها الا حجرتين .. إحداهما تعيش فيها زوجته أم هاشم .. التى أصبحت ملازمه للفراش لمرضها وكبر سنها .. والأخرى يعيش فيها هو ورقية .

على أنه لم يكن يشغل باله .. ذلك الحين . إلا أن يولى وفيق العمودية . وفكر فى أن يستقيل بحجه تقدمه فى السن .. ويوليه وهو حى .

إلا أن المحيطين به رفضوا الفكرة .. وطلبوا منه أن يظل ممسكا بيده بزمام الأمور .. وآهو وفيق هو الذى يمارس أمورها بالفعل .. حتى يمهد لنفسه الأرض تمهيدا جيدا . ويقضى على أمال كل معارضيه .

إلا أنه وأن كان يميل إلى هذه الفكرة .. الا أنه بدأ يشعر بشيء من القلق .. وخاصة بعد وفاة عمه إبراهيم.. وتقاعد شيخ الخفر. صحيح أن الجديد .. واحد من الخفر القدامى .. لكنه ليس بحنكه ولا وعى السابق . إلا أن ماكان يدهشه .. ويكاد يذهب عقله .. أن إبنه لم يكن يبال بكل هذه الأمور .. بل إنه يعتبر نفسه هو العمدة بالفعل . وعندما قال له :

- يا بنى العمليه فيها إجراءات وشويه حاجات كده .

- يابا العمده .. إطمن وحط فى بطنك شادر بطيخ . هو فيه حد فى البلد النهارده يقدر يفتح بقه .. ولا حتى يفتح عينيه فى وشى ؟.

فهدأت خواطر عبد الجبار .. بعض الشىء . وأن كان لم يطمئن كل الإطمئنأن .. ولم يضع فى بطنه إلا بطيخه واحده أوبطيختين .. كما نصحه إبنه وفيق .

ـ ٣٥ ـ

تعود أهإلى القرية على غياب العمدة .. فلم يعد قادرا على حضور أى مناسبة .. فرح كان أو مأتم . وحتى صلاة الجمعة التى كان يحرص على حضورها .. أصبح غير قادر على حضورها أيضا . وبدأت تسرى اشاعات فى البلدة .. إنه مات فعلا .. ودفن سرا حتى يتم إنتقال العمودية إلى إبنه .. وبعدها يتم الإعلا ن عن الوفاة . أو أنه مريض فعلا مرض الموت . ومنها إنه يعيش فى بيته بالبندر حتى يكون قريبا من الأطباء . ومنها إنه أدخل إحدى المستشفيات . والعجيب فى الأمر أن أحدا من أهإلى البلدة .. ومنهم القريبون منه .. ومن إبنه . لم يفكر فى أن يقوم بزيارة إلى السراية .. لير الأمر على حقيقته . كل ما كان يحدث.. هو أن أى منهم يلاقى وفيق عمدا أو بالصدفة .. يسأله :

- إزى العمدة ؟.

- بخير .. والحمد لله .

ـ البركه فيك .. ياعمدتنا . وينتهى الأمر عند هذا الحد .

حتى أتى اليوم الذى مات فيه العمدة فعلا . وأعلن ذلك فى البلدة بشكل واضح وصريح .. صباح أحد الأيام . وأن الجنازة ستشيع بعد صلاة عصر اليوم . وعلى ذلك حدثت حالة تأهب قصوى فى البلدة .. واقيم سرادق كبير على عجل .. وتم تمهيد الطريق المؤدى إلى مقابر القرية.. ورشه بالماء .. حتى لايتعفر السادة الحضور. وتوافد على القرية .. أرتال من السيارات .. لشخصيات مهمة فى البندر والمركز.. وزملاء لأبنه الضابط وإخوته.. وعمد القرى المجاورة . وقد أمر وفيق من إشراقة الشمس .. بذبح الذبائح .. وإطعام الطعام لكل غريب وقريب .. وتقدم العائلة فى تلقى العزاء .

ولقد انبهر أبناء القرية بما وفد اليها من سيارات فارهه .. لم يسبق أن رأوا لها مثيلا من قبل .. كما انبهروا بالمقرىء الشهير الذى أحيا السهرة .. وتجاوبوا معه .. وتعالت آهات الإستحسان منهم .. كأنهم ليسوا فى مأتم . وسهروا ليلتها كما لم يسهروا من قبل . وقد أسرف العاملون على السرادق فى تقديم المشروبات الساخنة . حتى إذا إنتهى العزاء .. وانصرف المعزون .. بقى أهل البلدة جالسين أو واقفين فى تجمعات .. يتحاكون بما رأوه فى يومهم .. ويتندرون به.. ومنهم من أقسم بصوت عال إنه لم يرى فى حياته.. مشهدا كهذا .

وقد سر وفيق .. وأثلج صدره . أن كانت ليلة والده على هذا المستوى الذى جعل أهل البلدة يتحاكون به .

وتقدم إخوته وأبنائه إلى السراية .. حتى إذا دخلوا حجرة المضيفة .. أغلق الباب وأمر أحد الخفر بألا يدع

أحداً يقترب منه . وبعد أن ساد الصمت لحظات .. قطعه وفيق قائلا :
ــ البقية فى حياتكم جميعا .. وعموما بيقولوا اللى خلف ماماتش . وأبوكم رحمة الله عليه .. خلف رجاله .. ورجاله ماليه هدومها . أنا بس عندى كلمتين عايز أقولهم لكم بصفتى أخوكم الكبير . أنا عايزكم من هنا وجاى تعتبرونى فى مقام أبوكم .. الفرق فى السن بينى وبين أكبر واحد فيكم .. يزيد عن الخمستاشر سنه . وأنا باقول فى مقام .. مش أبوكم .
وافقه إخوته .. قولا وإشارة .. وأكد ذلك على الضابط :
ـ طبعا يا خويا.. دى نظرتنا ليك من زمان .. وطول عمرنا بنحترمك وبنقدرك .
ــ وعلى كده .. أنا عايزمنكم إنكم تبقوا كلكم يد واحده .. معايا . علشان العمودية ما تطلعش من العيله . وكل واحد من ناحيته يسعى معايا .
ـ ما تقلقش من الناحيه دى.. كلنا معاك قلبا وقالبا أن شاء الله .. وبكل ما نملك .
ــ ومن ناحية البلد هنا ما تقلقوش . البلد كلها ذى الخاتم فى صباعى .. أنا عايز دوركم بره البلد .
ـ موافقين . هكذا ردوا جميعا .
ـ أما من ناحية الميراث .. فالحمد لله الخير كتير .. يكفى ويفيض . وشرع ربنا هو اللى هايمشى . أيه رأيكم نجيب شيخ الجامع يحكم بينا . سارع أخوه على قائلا :
ــ لأ يا عمده .. إحنا مش عايزين حد يسمع لنا صوت .. والحمد لله إخواتك رجاله وكلهم ثقه فيك .. واللى

إنت ها تعـمله إحنـا موافـقين عـليه .. إنت لسـه قايل أبونـا خلـف رجالـه . والرجالـه مـاتختلفش عـلـى حاجـه لاتـودى ولا تجيب .

- عـداك العيب يـابن أبويـا .. وأنـا عـلشان كلامك ده ووقفتكم دى رقبتى لكم .

- بارك الله فيك ياوفيق .

– تحبوا نكمل القعـده .. ونتقاسم فـى كل حاجـه دى الوقت .. ولا نخليها للصبح ؟.

– وفـيق .. إكتـب الـورق الـلازم بـاللى إنـت شـايفه صح.. وإحنا بكره نمضى لك عليه .

- بس أنا شايف إنكم تراجعوا أمكم الأول .

- أمنا مش ها تقول غير اللى أنا قلته لك .

– خـلا ص .. بكـره الصـبح إن شـاء الله نقعـد أنـا وأنت.. ونوزع ونكتب اللى نتفق عليه.. وننهى الموضوع ..علشأن ما يسببش مشاكل .

- أن شاء الله ما فيش مشاكل .. وعلى فكره إحنـا هـا نكتب الـورق لتحديد حق كل واحد بس . لكن كل حاجـه هـاتبقى تحت إيدك زى مـا هيـه . إنت عـارف إخواتك .. لاحـد منـا لـه فـى الـزرع ولا فـى القلـع .. وكـل مـاتبيع المحصول توزع على كل واحد حقه .

- عداك العيب ياخويا .

وقاموا جميعا وتعـانقوا وتعـاهدوا عـلى أن يكونـوا معـا على الحلوة والمرة .. وقرأوا الفاتحه على ذلك .

إستمر وفيق .. يتقبل العزاء فى والده .. لمدة أسبوع. ويستقبل زواره فى البلكون . بعد تناوله الفطوريخرج اليها حاملا كوب الشاى فى يده .. ويظل على هذه الحال حتى انتصاف الليل تقريبا .. يلازمه دائما.. رفاق السهر من رجاله . والذين أخذوا فى الظهور بشكل علنى .. معه . فلم يعد هناك ما يستدعى الاستمرار على نهجهم السابق .. وخاصة أنهم أصبحوا رجال العمدة. وإن كان شيخ البلد قد إحتفظ بموقعه فى المجلس.. أوقات تواجده . حيث كان نادر الحضور .. لكبر سنه ومرضه . وأن تقلص دوره الفعلى . حيث كان رجال وفيق يمارسون دوره .. وكل أمور القرية كأن وفيق هو العمدة فعلا . ومن عجب أن أهل البلدة .. تقبلوا الوضع وكأنه من الطبيعى.. أن يخلف وفيق أباه . وأن كان الأمر لم يخل من صوت هنا وهناك .. أو كلمات تصدر من الخصوم القدامى . وبقيت المعارضة .. لاتتجاوز كلمات.. سرعان مايتبدد أثرها فى الهواء .. وفى الأذان والعقول . فمن ذا الذى يستطيع أن يقف فى وجه وفيق ورجاله وقد صار الأمر إليهم . وبعد انتهاء أسبوع العزاء .. وكان بنهاية الخميس الأول . وفى صباح الجمعة التالى .. وقد خرج وفيق إلى مكانه المعتاد بعد الإفطار.. حضر إليه ثلاثة من رجاله .. وبعد دقائق من الصمت . مال عليه الجالس بجانبه :

ـ طولـة العـمر لـك .. عـايزين نفكـر بقـى فـى اللـى ها نعمله .. لغاية ما يتم الإعـلان عـن فتح بـاب الترشيح للعموديه .. ولا .. أيه رأيك .

ـ أقعدوا مع بعض أنتم ورتبوا الأمور .. واللـى أنتم شايفينه سليم أعملوه . وكإنى ما أعرفش حاجه وإنتم اللـى بتتصرفوا من نفسكم .

ـ طيب .. بس عـرفنا يعـنى كده .. ولو بـالتلميح .. انت عـايز أيه .. إنتخابات .... عـاجله وفيق :

ـ لأ .. لأ .. إنتخابـات أيـه .. وبتـاع أيـه . أنـا عايزهـا بالتزكيه .. مين ده اللى يترشح قبالى ؟؟. ولا يبقى ند ليه؟؟. وإنـت برضـه يرضيك أن حد يترشـح قبـالى ويحط راسـه براسى .

ـ عداك العيب يا عمدتنا وتاج راسنا .

ـ ومـش عـايز أسـمع حاجـه كـده ولا كـده .. تتاخـد علينا.. وتهد اللـى إحنـا بنينـاه . يعـنى شـوية حـرص عـلى شوية صبر.. وكده الأمور تمشى مظبوط .

ـ تعليماتك أوامر.. يا عمدتنا .

وهم الرجال قـائمين . فـقال لهم وفـيق :

ـ عـلى فـين ياخويـا أنـت وهـو وهـو .. أسـتنوا لمـا نصلى الجمعـة مع بعـض .

ـ ٣٧ ـ

عـندما فـتح بـاب الترشيح للعـمودية .. مكث وفـيق حتى آخر يوم فى المهلة المحددة للتقدم . والتـى فـى خلالها فعل رجاله .. مالم يكن يخطر عـلى بـال أحد فـى القريـة .

فبمجرد أن تسرى إشاعة أن شخص ما يرغب فى الترشيح .. وبعد منتصف ليل سريانها .. يتم إقتحام بيته .. وإقتياده من بين أهله .. إلى مكان لا يعلمه .. سوى خاطفيه. ويظل محتجزا .. عدة ليال .. يتذوق خلالها من صنوف المهانة ما لم يكن ليخطر له على بال . ومنهم من تم الإعتداء عليه جنسيا .. لكسر شوكته .. وحتى لايرفع رأسه بعدها . الأمر الذى منع من كانت تساوره نفسه فى التقدم .. من المجازفة . وفى آخر يوم .. وقبل انتهاء المهلة بساعة واحدة .. وبعد أن تأكد من عدم وجود مرشح سواه.. تقدم وفيق بأوراق ترشيحه . وبعدها ذهب لزيارة مأمور المركز .

ـ أنا جاى أقدم فروض الطاعة والولاء .. لسيادتك . وتشكرى الخاص على حضوركم عزاء الوالد .

ـ الوالد كان راجل ياوفيق .. وكان كله نظر. قال ذلك وهو يبتسم ابتسامة ذات معنى .

ـ وأنا أبنه .. وتلميذه برضه ياسعادة الباشا .

ـ إن شاء الله تكون خير خلف لخير سلف .

ـ ببركة سعادتك إن شاء الله .

وسلم عليه منصرفا وهوينحنى له إنحنائة لها مدلول خاص .. أراد أن يوصله للمأمور .

وما أن وصل إلى البلد .. حتى وجد فى انتظاره فرقة مزيكه .. وحشد من رجاله وأنصاره وأهله .. وأطلقت البنادق من الرجال الذين أحاطوه من كل جانب . وأصر رجاله على أن يطوفوا به البلدة راكبا حصانا أبيض أعدوه له . ولما طلب منهم وفيق تأجيل ذلك لحين الإعلان رسميا عن شغله للمنصب . أصروا أن يتم ذلك

اليوم وخاصة أنه يعتبر فانزا بالتزكية .. فلم الانتظار؟.
وكان لهم ما أرادوا .

وعندما عاد إلى السراية .. وجد فى الخلاء حولها.. عده عجول تم نحرها حال وصوله .. وتوزيع لحومها على الناس .. كما اعدت موائد الطعام أمام السراية .

وعندما دخل على زوجته .. التى كانت ترتدى الأسود حزنا على الراحل .. والفرحة تملأ وجهها .. ولم تتمالك من أن تطلق زغرودة تردد صداها فى أركان السراية .

علت الابتسامة وجه زوجها .. وأغلق عليهما الباب.

ـ ٣٨ ـ

لم يشعر وفيق بجديد.. بعد توليه العمودية بشكل رسمى .. اللهم إلا ظهور رجاله بجانبه كمسؤلين .. وأصحاب رأى .. وأمر ونهى . فلم تعد كل الأمور تعرض عليه.. إنما كبارها فقط . فما الداعى أن يشغل نفسه بكل صغيرة وكبيرة. وما فائدة من حوله أن فعل ذلك .. وعلى ذلك ترك لرجاله الحبل على الغارب .. ففعل كل منهم ما يريد لأجل فرض سطوته وهيمنته فى المجال المنوط به . ولهذا بعدما كان هناك وفيق واحد أيام عبد الجبار .. أصبح الأن هناك أكثر من وفيق .. مع وجود فارق واحد ..أن أحدا منهم ليس ابن العمدة .. وإنما ذراعه الطولى . وكل منهم له رجاله ومنفذوا أوامره ونواهيه . لكن الأمر المدهش .. أنه لم يحدث بينهم صراع على من يكون الأكثر سطوة أو الأكثر نفوذا . ربما خشية

من وفيق .. أو ربما لأن كل منهم يلتزم بالخط الذى رسمه له .. ويحرص تمام الحرص على عدم تجاوزه .. خشية من العمدة . ولهذا كانت الأمور مستقرة لهم . بالإضافة إلى أن الناس إعتادوا منهم على ذلك من زمن .. فلم يكن هناك الجديد . وإستمرت الحياة كما أراد لها وفيق أن تستمر . إلا أن هناك أمرا جد .. ألا وهو الجيل الجديد من الشباب .. الذى ولد مع بداية تولى والده للامور.. منذ ربع قرن تقريبا . شبابا يافعا قويا .. متعلما . بداخلهم تمرد على موروثات آبائهم .. فماذا يفعل معهم ؟. فى البداية حاول إحتوائهم بالرياضة .. فنظم لهم دورات فى كرة القدم .. بين فرق أطلق عليها أسماء كالأسد المرعب والفهد.. وهكذا . وخصص لها جوائز .. يقوم بتوزيعها بنفسه على الفريق الفائز. ومع ذلك وجد صعوبة شديدة فى الهيمنة عليهم . فإجتمع بوفود منهم فى محاولة لإستمالتهم وإستمع إلى مطالبهم .. التى كانت تتركز فى إنشاء مدارس بالبلدة بدلا من سفرهم إلى البلاد المحيطة أو البندر.. فوافقهم على ذلك بل وخصص قطعة أرض كبيرة.. من التى كان يضع يده عليها على أن تكون البداية بمدرسه ابتدائى وأخرى إعدادى . وسعى جادا مع أبناء البلدة حتى تم بنائهما .

وأخذت عجلة الأيام تدور .. دورانها الروتينى .. وما يصبح الناس فيه يمسون فيه.. وكل يوم تزداد المعيشة غلاءا عن الذى قبله .. وكل ملهى فى البحث عن عمل يضمن له لقمة العيش .. وأن وجد العمل يحرص على أن يستمر فيه حتى يضمن لقمة العيش .. له ولأبنائه . وعلى ذلك هجر البلدة كثير من أبنائها سعيا وراء الرزق فى

البلاد المجاورة .. وما يعودون به من أموال يحرصون عليها أشد الحرص .. وعلى ذلك لايكون أمامهم إلا اللجوء إلى وفيق ورجاله .. فيتقدمو اليهم بالهدايا .. والعطايا .. حتى يضمنوا عدم التعرض لهم .

_ ٣٩ _

كبر أبناء وفيق .. وكثر أولادهم حتى ضاقت بهم السراية .. فلم يكن أمامه إلا أن يبنى لكل واحد منهم بيتا مستقلا . وأصبح يعيش هو وزوجته وحدهما فى السراية . وعلى ذلك إستقر بالحجرة التى تجاور المضيفة . وأصبح الدور الثانى الذى خلا من سكانه .. مرتعا للخفافيش والفئران . وبمرور الأيام أصبح الجميع يخاف الصعود اليه .. زعما إنه إصبح مسكونا بالعفاريت . وقل إهتمام وفيق بالسراية .. فلم يعد يقوم بأى صيانة للمبنى . فتهاوى معظم الطلاء من الجدرأن .. وتهالكت الأبواب والشبابيك .. وتحطم زجاجها .. وأصبح من الصعب غلقها . وفى الشتاء .. تتلاعب الرياح بها محدثة من الأصوات .. ما كان يبث الرعب فى نفوس ساكنها . حتى أن الخفر والعاملين فى خدمة العمدة .. لم يكن بمقدور أشجع رجل فيهم .. أن يدخلها ليلا .. أبعد من الثلاث حجرات الأولى .. التى يعيش فيها وفيق . وخاصة إنها كانت دائما مضائة ليلا . وحدث أن أرادت زوجته الذهاب إلى دورة المياه ليلا.. لمغص مفاجىء الم بها .. وكانت بآخر الدور الأرضى .. وحملت معها فانوس ينير لها الطريق .. ويبدد خوفها . ومعها إحدى الشغالات تحمل فانوسا آخر . وما

أن رأت قـطة سوداء تعـدو مـن أمـامهن .. صاعـدة إلـى الـدور الأعـلى .. حتـى صرخت .. وحاولـت الجرى إلـى حجرتهـا .. فـإلتوى قـدها أسفلها ووقعـت أرضـا .. فعـلا صراخها هـى وخادمتهـا .. فأسرع اليهـا العـمدة وكـل من كـان معـه لحظتهـا .. وحملوهـا إلـى فراشـها . وحضـر اليهـا المجبراتـى .. ووضـع لهـا جبيـرة عـلـى قـدمها . وعـندما إختلت بالعمدة ليلتها .. قالت له فى لهجـة آمره لـم يسمعـها منها من قبل :

ـ أنـا مـا عـدش لـى عـيشه فـى الخرابـه دى .. يـا إمـا تبنـى لنا بيت صغير علـى قدنا .. وإلا هـا روح أعـيش مـع أى واحد من ولادى .. وإنت حر فى نفسك .

صمت وفيق لحظات متفكرا :

ـ صحيح أيه اللى مخلينا عـايشين فـى الخرابـه دى ؟. ثم صمت فجأه ولم يكمل حديثه .

" بس هاتبنى لمين ياوفـيق من بعـدك .. ده كل واحد وله داره . ده أنا ناسـى البنـات خـالص .. دول بنتـين .. فيهـا أيه إما أبنى لهم بيت هما كمـأن .. وآهو نعـيش فـيه البـاقى من عـمرنـا .. وبعدها يبقى لهم دار تلمهم .. لـو واحده منـهم خدت علـى خاطرها من جوزها ولا حاجه ."

وعــلـى ذلـك فــى صـبـاح اليـوم التــالى .. أعــطى تعـليماته لرجالـه .. لبنايـة الـدار فـى الأرض الخـلاء أمـام السراية .. وبحذاء دور أبنائه .

إنتقل وفيق وزوجته إلى الدار الجديدة .. وخلت السراية من سكانها . اصبحت .. مبنى عاليا خاويا .. أثرا .. شاهدا على أيام قد ولت بحلوها ومرها . ونظرا لتقدمه فى السن .. أصبح غير قادر على الخروج إلى الناس بشكل دائم .. فإزدادت سطوة رجاله من حوله .. وقويت شوكتهم . وبدأت الخلافات تدب بينهم . فى محاولة من كل منهم .. تقديم نفسه كخليفة لوفيق . فلم يكن هناك مايدل على رغبته فى تقديم أحد من أبنائه .. ولا رغبة لدى أى منهم فى ذلك . وعلى ذلك أصبح كل من يرى فى نفسه .. من رجاله.. استحقاقه للمنصب .. يعمل على كسب الأنصار والؤيدين له . حتى ظهرت النزاعات علنا .. وأصبح الناس يتندرون بهم فمن قائل :

– ما إختلفوش وهما بيسرقوا .. وإختلفوا وهما بيتقاسوا السرقه .

ومن قائل :

- وعلى الباغى تدور الدوائر .

وعندما أدرك وفيق أن الأمور تكاد تفلت من يده .. على آخر أيامه .. جمع رجاله فى حجرته وأغلق عليهم الباب وقال لهم :

– أنا الوقت فى آخر أيامى .. ومش عايز الناس تقول أن وفيق كان شيخ منصر .. وبعد ما مات إختلف أفراد العصابه من بعده .. إنتم كنتم رجالتى وإيدى ورجلى .. ومش عايز أى خلافات وصراعات بينكم . أى

واحد منكم يمسك من بعدى .. الباقى رجالته وإيده ورجله زى ما كنتم معايا بالظبط . ويكون بينكم عهد على كده .. واللى يخرج عليه .. الباقى يكونوا يد واحدة عليه . والوقت ده .. قبل ماتخرجوا من عندى .. يكون بينكم إتفاق.. على اللى ها يمسك من بعدى . إنتم آهو عشرة رجال وأنا بصوتى اللى ها رجح مين اللى ها يمسك .. أيه قولكم بقى ؟ .

ـ عداك العيب يا عمده .

ـ والله إنت كده حليت الإشكال .

ـ ياريتك عملت كده من زمأن .. كنت وفرت علينا الخلافات اللى حصلت دى .. وخلت الناس تتلسن علينا .

ـ دول ماكانوش ها يتلسنوا بس .. دول كانوا هايكلوكم .. لو خلافاتكم زادت عن كده .عموما خلاص..مين فيكم اللى هايرشح نفسه ؟.

ـ إنت اللى تختار يا عمده .

ـ لأ .. أنا عايز إتنين ولا تلاته يرشحوا نفسهم .. ونختار واحد منهم .

ـ بلاش كده ياعمده .. ده هايخلق خلافات وحزازات فى النفوس عمرها ما ها تتنسى .

ـ طيب نقرا الفاتحه على أن اللى أختاره ما يحصلش عليه خلاف .

ـ ومن غير فاتحه .. كلامك سيف على رقابنا .

وأعلن إختياره لأحدهم .. ولشد ما كانت دهشته .. عندما وجد إرتياح الجميع لهذا الإختيار .. وكأنه كان هناك إتفاق بينهم عليه .

ـ طيب ومين بعده ياعمده ؟.

ـــ سـيبوا دى .. جـايز الظـروف تتغـير.. وتفـرض إنتخابات .. ورأى الناس هو اللى ها يحكم فى الحاله دى .
ـــ إنتخابـات أيـه .. ورأى نـاس أيـه . وأن حصـل إنتخابات .. ما إحنا عـارفين هـا نعـمل أيـه . وإمتـى النـاس كان لها رأى.
- برضه .. سيبوها للزمن .
وإنفض الإجتماع على ما إتفقوا عليه .

إنتهت

صدر حديثاً :

ما قالته نظرتها الأولي	شعر	صابر معوض
لن أكون سبية	شعر	راندا الجندى
أين نحن وإلى أين نتجه ؟	مقالات	صبرى قنديل
إلى هذا الحد ..؟! ط٢	قصص	محمد خيرت حماد
أحلام على الطريق ط٢	قصص	محمد خيرت حماد
كبر داء	شعر عامية	د. عصام زكى الغنام
هانت الأفراح	شعر عامية	سلطان البهوتي
لا عليك	شعر فصحى	عبد الناصر الجوهرى
حمام أم الرشراش	قصص	فؤاد حجازي
المهرج لا يستطيع الضحك	شعر	عبد الناصر الجوهري
أنا رغم الجراح عاشق	شعر	سلطان البهوتي
سأغني للفجر القادم	شعر	محمد يوسف بلال
عليه العوض	رواية	السعيد أحمد نجم
لن تهدرين شجونى	شعر	عبد الناصر الجوهرى
جمرات خابية	مذكرات	أحمد ماضى
لست أنا ، لكنه اسمي	رواية	أحمد ماضى
دموع النوارس	رواية	أحمد ماضى
هنا القاهرة	شعر	السعيد قنديل
الممر ط٢	قصص	احمد ماضى
هويت بحرك	شعر	جابر على شطا
قدر ومكتوب	قصص	محمد خيرت حماد
الخوف	قصص	أحمد ماضى
الكلام طالع بالغنا	شعر	سلطان البهوتي
المشى للخلف	قصص	فؤاد حجازي
أراك كظلى	شعر	سلطان البهوتى
مكلوم هده الشوق	شعر	عبد الناصر الجوهري
للنار أغنية أخيرة	شعر	عاطف الجندي
من القلب يا شجن	شعر	جمعة محمد سنجاب
نداء خرطومو	قصص للطلائع	فؤاد حجازي
اشتباك	شعر	جيهان سلام
السراية	رواية	محمد خيرت حماد

رقم الإيداع بدار الكتب
٨٠٩٨ / ٢٠٠٨
ترقيم دولى
977-374-374-8

دار الإسلام للطباعة والنشر
٠٥٠ / ٢٢٦٦٢٢٠
٠١٢٢٦١٤٣٦٣